

أثر الخلاف المذهبي على حركة التأليف في الوسط الهندي (٨٩٥-٩٧هـ/١٤٨٩-١٦٨٦م)

د. أحمد إبراهيم علي
مدرس التاريخ والحضارة الإسلامية
كلية دار العلوم - جامعة المنيا - مصر

ملخص البحث:

شهد الوسط الهندي - ونقصد هضبة الدكن - صراعاً مريباً بين السنة والشيعة، كان من أبرز ملامحه التنافس الفكري عن طريق طرح مئات المؤلفات في مختلف الفنون، التي كان لها مغزى سياسي وديني بهدف كسب الهيأة السياسية وعامة الأهالي، وقد واجه السنة موجة عاتية من نظرائهم الشيعة الذين حاولوا إقصائهم عن الحياة السياسية، لكنهم تصدوا لهذا الواقع في صبر وثبات، متخذين عدة سبل؛ كان أهمها المؤلفات الدينية والصوفية التي استطاعوا من خلالها إثبات وجودهم وتنفيذ حجج نظرائهم الشيعة. ومن هنا كان دراسة ظروف التأليف في الدكن مظهرًا مهمًا لفهم هذا الصراع والحكم عليه.

الكلمات المفتاحية: بيجابور، فيايانكر، شمس العشاق، الماراتية، النورس.

The Impact of Sectarian Disagreement on the Authorship Movement in the Indian Milieu

Abstract:

The Indian community - and we mean the Deccan plateau - witnessed a bitter struggle between Sunnis and Shiites, one of its most prominent features was intellectual competition through the publication of hundreds of works in various arts, which had a political and religious significance with the aim of winning over the political body and the general population. The Sunnis faced a strong wave of their Shiite counterparts. Those who tried to exclude them from political life, but they faced this reality with patience and steadfastness, taking several methods. The most important of them were the religious and Sufi writings through which they were able to prove their existence and refute the arguments of their Shiite counterparts. Hence, studying the conditions of composition in the Deccan is an important aspect of understanding and judging this conflict.

Keywords: Bijapur, Vayankar, Sun of Lovers, Marathi, Al-Nauras.

التمهيد:

(أ) عرض جغرافي:

يشمل الوسط الهندي أهم هضاب الهند، وهي هضبة الدكن، ومعناها في الهندية الجنوب، وهي تُحدد جغرافياً بالأراضي الواقعة جنوب نهر نربدا^(١)، وتقع بين خطي عرض ٢١ و ٢٤ شمالاً، ويصل ارتفاعها ثلاثة آلاف قدم عن سطح البحر^(٢)، وقد تميزت بثرائها حيث الألماس والجواهر النادرة، وأغلب أهلها يتاجرون فيهما، ناهيك عن كون أرضها صالحة لجميع المحاصيل والفواكه^(٣). وغرب الدكن يقع ساحل مليبار ذوالشهرة التجارية، وأهم مدنه بمباي، وجو، وكونكي، وفي الشرق ساحل كروماندل - المعبر - ومنطقة أورسيا على خليج البنغال، أم الهضبة نفسها؛ فتتحد باتجاه شرقي، وتحيط بها جبال ساتورا وكهان^(٤)، وتفصلها عن الشمال الهندي جبال الوندهايا، وقد منح هذا الموقع الدكن خصوصية جغرافية وحضارية مميزة عن بقية الأقاليم الهندية.

ويوجد في الدكن عدة أنهار، أشهرها نهر نربدا في الشمال، وهو يصل ساحلي الهند الشرقي والغربي، حيث ينبع من جبال كنتك في الشرق، ويصب في بحر العرب - المحيط الهندي - شرقاً، وأهم فروعها ماهي، وسابرتي، وبهرا، وجنوبه يقع نهر جودي فري، وبينهما تقع أخصب بقاع الدكن^(٥). هذا وقد أنشئت عدة مدن في الدكن، أشهرها دولت آباد، التي عُرفت باسم ديوغير، وهي تقع على نهر جودي فري، حيث تم فتحها عام (١٦٩٥هـ/

(١) معين الدين الندوي: معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٥٣هـ، ص ٢٥.

(٢) محمد عبدالمنعم الشرفاوي ومحمد محمود الصياد: ملامح الهند والباكستان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢م، ص ١٨.

(٣) البنكاتي: أبوسليمان بن أبي الفضل (ت ١٣٤٩هـ/١٧٣٠م)، روضة أولى الألباب في معرفة التاريخ والأنساب، معروف بتاريخ بنكاتي، ترجمة: محمود عبد الكريم علي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧م، ص ٣٥٠، عبد الحي الحسيني: الهند في العهد الإسلامي، دار عرفان، الهند، ٢٠٠١م، ص ٨٥-٨٦.

(٤) البنكاتي: تاريخ بنكاتي، ص ٣٤٩؛ جوستاف لوبون: حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتر، القاهرة، ١٩٤٨م، ص ٣٣.

(٥) س. ل. غوش: "ملاح الهند"، ثقافة الهند، ١٩٦٢م، ص ٢٦.

١٢٩٦م) في عهد السلطان علاء الدين الخلجي، ونقل إليها العاصمة بدلاً من دهلي السلطان محمد تغلقشاه (ت ٧٢٦هـ / ١٣٢٦م)، وغيّر اسمها إلى قطب آباد^(١).
وجنوب نهر جوذي فري، تقع أراضي مملكة تيلانغ القديمة، وأهم مدنها في العهد الإسلامي بيدار - ظفر آباد حالياً - وتم فتحها على يد القائد المسلم كافور عام (٧١٠هـ / ١٣١١م)^(٢)، وهي حاضرة مملكة العائلة البريدية السنية، وغرب بيدر؛ تقع مدينة أحمد نكر قاعدة مملكة النظامشاهيات الشيعية، وفي جنوب شرق بيدر، تقع مدينة حيدر آباد التي شيدها السلطان محمد قلي قطبشاه (ت ١٠٢٠هـ / ١٦١١م)، وأشهر معالمها مسجد مكة وجارمينار - المنارات الأربع^(٣)، وغرب حيدر آباد - على نهر كرشنا - تقع مدينة بيجابور حاضرة مملكة العادل شاهيات الإسلامية^(٤)، وهي من أعظم مدن الدكن، وأعلىها صيتاً.
وقد ارتبط بالدكن أقاليم أخرى أشهرها إقليم الكجرات غرب الدكن، وأهم مدنه بمباي، وبيروج، وكيرا، وأحمد آباد، وكلها مدن تجارية ثرية^(٥)، وإذا تخطينا نهر كرشنا، ندخل جغرافياً أراضي إمارة فيايانكر الهندوسية، والتي ارتبط اسمها بحروبها الطاحنة ضد الممالك الإسلامية في الدكن، ثم أباطرة المغول في الشمال، وهي تضم مدن مهمة مثل تشينا لدرغ، وراتيشورد، ودهاروار، وكومبا، وهامي^(٦).

(ب) تأصيل التشيع في الدكن:

ترجع البداية الأولى للتشيع في الهند إلى عام (١٥١هـ / ٧٦٨م)، عندما وصل إليها الداعية الشيعي عبدالله العلوي، الذي قُتل مع أربعمئة رجل على يد الوالي هشام بن عمرو^(٧)، وتفرق أتباعه في المناطق الهندية، ومنها الدكن، حيث اتخذوا مدينة كانكن مركزاً

(١) نهاوندي: ملا عبدالباقي (ت ١٠٢٥هـ / ١٦١٦م)، مآثر رحيمي، بتصحيح: محمد هدايت حسين، كلكتا، ١٩٢٥م، ٣١٨/١، ٣٤٨.

(٢) نهاوندي: مآثر رحيمي، ٣٢٨/١، الندوي: الأمكنة، ص ١٥.

(٣) الحسيني: الهند، ص ٢٣٢، الندوي: الأمكنة، ص ٢٥.

(٤) Hakim Syed: India during Muslim Rule, Lucknow, 1977, pp.74, 76.

(٥) البنكاتي: تاريخ البنكاتي، ص ٣٤٩. الندوي: الأمكنة، ص ٤٥.

(٦) الندوي: الأمكنة، ص ٤٥. وللمزيد راجع

Aarohi Phadke: A history of India, New Delhi, 1997, p. 244.

(٧) الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ / ٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ب.ت، ٣٣/٨، ٣٧.

لهم^(١)، واستطاع الشيعة الإسماعيلية تكوين إمارة لهم في مدينة الملتان بزعامة جلم ابن شيبان، وقد قضى عليها السلطان محمود الغزنوي عام (١٠١٠هـ/٩٥٢م)^(٢)، ولكنهم استطاعوا توحيد قوتهم، وأخذوا في مهاجمة الشمال الهندي، وأخطر هجماتهم تلك التي وقعت عام (٦٣٧هـ/١٢٤٠م) في عهد السلطانة رضية بنت ألتمش بقيادة زعيمهم نور الترك^(٣).

وفي القرن الثامن الهجري، ازداد التشيع في الدكن، ودفع ذلك القائد حسن كونك - وعقب استقلاله بالجنوب الدكني عن سلطنة دهلي عام (٧٤٨هـ/١٣٤٧م) - إعلان قيام المملكة البيهمنية، وضم إليه أغلب رجال التشيع، وربط نسبه بالبطل الأسطوري الفارسي إسفنديار، وفي عام (٨٣٩هـ/١٤٣٦م) أعلن السلطان أحمد شاه والي التشيع مذهباً رسمياً في الدكن، وضم مجلسه عدداً من رجال الشيعة^(٤)، وانتشر التشيع في مناطق أورسيا وتلنجد،

(١) القنوجي: صديق حسين، (ت ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م)، أجد العلوم، دار المعارف، ١٣٧٨م، ٣/٢١٦.

(٢) المباكوري: قاضي أبو العالي أطهر: رجال السند والهند، دار الأنصار، القاهرة، ١٩٩٨م، ٨٢/١، ١١٣.

الملتان: تقع بين درجتي عرض ٣٠ و ٣٢ شمالاً، و خطي طول ٧١ و ١٣١ شرقاً، وعُرفت زمن الفتح العربية باسم فرج بيت الذهب؛ نظراً لكثرة الذهب بها، وهي قاعدة إقليم السند، ومن المدن التابعة لها: أوجه والمنصورة والور، واشتهرت بصنع الملابس. للمزيد راجع (Hakim: India during Muslim Rule, 67.)، والإسماعيلية: حيث ينقسم الشيعة إلى فرعين: الإسماعيلية والإمامية أو الاثنى عشرية، ويتفق الفرعان في الأئمة الست الأوائل، وأخبرهم جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ/٧٦٥م)، ويختلفا في إمامة الإمام السابع، حيث اجتمع الإسماعيلية على الإمام إسماعيل، بينما الاثنى عشرية اتفقوا على أخيه موسى الكاظم، وانقسمت الإسماعيلية لعدة فرق، منها الخوارج في الهند، والأغاخانية والبهرة. وللمزيد راجع: مصطفى الشكعة: إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، ٢٠٠٥م، ص ١٨٩، ٢٣٣. أما عن شيعة الهند تفصيلاً، راجع:

Aziz Ahmad: An Intellectual History of Islam in India, Edinburgh, 1953, pp. 18-22.

(٣) Ibid. p.1.

(٤) Aziz: An Intellectual History, p. 17.

البيهمنيون: تُنسب هذه الأسرة الحاكمة إلى القائد حسن كونك، الذي انفصل بالدكن عن دهلي عام (٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، واتخذ مدينة دولت آباد عاصمة له، وقد تعاقب على حكمها ثماني عشرة سلطاناً لما يقرب من قرنين، كان أشهرهم السلطان أحمد الأول، الذي استولى على مملكة لورنكال الهندوسية عام (٨٣٠هـ/١٤٢٥م)، ووضع عدة قواعد تتعلق باحترام رجال العلم والأدب، وحاول خليفته علاء الدين

وتلنجد، بل وعرفته إمارة قيايانكر الهندوسية، واستمر الوضع حتى عام (٩٣٣هـ/١٥٢٥م)، حيث انهارت المملكة البهمنية، وقُسمت إلى خمس ممالك إسلامية^(١)، مملكتان للسنة، وهما البريد شاهات في بيدار من عام (٩٣٤هـ/١٥٢٧م) إلى (١٠٢٨هـ/١٦١٩م)، والعماد شاهات في برار من (٨٨٩هـ/١٤٨٥م) إلى (٩٨٠هـ/١٥٧٢م)، وثلاثة للشيعة؛ هم العادل شاهات في بيجابور من (٨٩٥هـ/١٤٩٠م) إلى (١٠٩٧هـ/١٦٨٦م)، والنظام شاهات في أحمد نكر من (٨٩٦هـ/١٥١٢م) إلى (١٠٩٨هـ/١٦٨٧م)، والقطب شاهات في جولكنده من (٩١٨هـ/١٥١٢م) إلى (١٠٩٨هـ/١٦٨٧م)، ليصبح بذلك المذهب الشيعي هو السائد في المجتمع الدكني في عهد الإمارات الإسلامية المستقلة.

تعتبر بيجابور من أهم المراكز الشيعية في الدكن، وأول من أعلن التشيع فيها رسمياً السلطان يوسف عادل شاه، الذي استقل بالمدينة عام (٨٩٥هـ/١٤٨٩م)، وقد جمع في قصره مجموعة من كبار علماء الشيعة عام (٩٠٨هـ/١٥٠٢م) بغرض العمل على تحويل الأهالي للمذهب الشيعي^(٢)، وعقب ذلك خطب باسم الأئمة الاثنا عشرية، وحذف أسماء الخلفاء الراشدين من الخطبة^(٣)، وازداد الوضع سوءاً مع خليفته السلطان إسماعيل، حيث أجبر الأهالي على التشيع قسراً بسيف الغرامات والحبس، واستقدم المزيد من رجال المذهب من خراسان لمناظرة علماء السنة، ووظف اللاعنين في المساجد^(٤).

غزو إمارة قيايانكر عدة مرات، وقد اشتهر البهمنيون باستخدام الأسلحة النارية، وأسلوب معماري متميز، وكان آخر أربع سلاطين تحت وصاية الأمير التركي قاسم بريدي قبل أن تتفكك السلطنة في عهد كليم الله عام (٩٣٤هـ/١٥٢٧م). الهروي: أحمد بخش (ت ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)، طبقات أكبري، ترجمة: أحمد عبدالقادر الشاذلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥م، ٢٥/٣ وما بعدها.

P. N. Chopra and T.K. Ravindram, History of South India, New Delhi, 1979. Pp. 34-88.

(١) الهروي: طبقات أكبري، ٤٨/٢-٥٧؛ مجتبي كرمي: نكاهي به حيدر آباد الدكن، تهران، ١٣٧٣س، ص ١٢-١٥.

(٢) نهاوندي: مآثر رحيمي، ٤٠٦/٢؛ أبوظفر الندوي، مختصر تاريخ الهند، أكر، ١٩٣٨م. ص ١٣٧؛ محمد سعيد الطريحي: المملكة العادلشاهية، دار المعارف الهندية، ٢٠٠٧م، ص ١٠.

(٣) فرشته: محمد قاسم هندوشاه (ت في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري)، كزار إبراهيمي، بمباي، ١٨٣١م، ١٠/٢٢٠؛ الطريحي: المملكة العادلشاهية، ص ١٠.

(٤) أبوظفر: مختصر تاريخ الهند، ص ١٣٨؛ الطريحي: المملكة العادلشاهية، ص ١٤.

وفي خطوة عكسية، ألغى السلطان إبراهيم عادل الأول (ت ٩٦٥هـ/١٥٥٧م) التشيع، ورد للسنة اعتبارهم، ولم ينكل بعلماء الشيعة، بل أعطاهم الفرصة كاملة لخدمة المملكة دون إثارة الفتنة الطائفية، فكان منهم خسرو آقا اللاري، الذي خدم المملكة ثلاثين عاماً^(١)، وقد ذهبت تلك الجهود أدرج الريح مع تولي المملكة السلطان عادل شاه (ت ٩٨٧هـ/١٥٧٩م)، حيث أعاد الوضع إلى ما كان عليه، وحط من منزلة السنة، وولى كلاً من الشيخ فتح الله الشيرازي وحكيم الملك - وهم من كبار رموز التشيع - أمور المملكة، وتوسع في مملكة فياينكر، ونشر التشيع في مدن تابعة لها، على رأسها رائجور، ورورنكل، ودهارو، وجندركوني، ولم تتوقف تلك الممارسات إلا عقب اغتياله^(٢)، ومع تولية خليفته السلطان إبراهيم الثاني (ت ١٠٣٥هـ/١٦٢٦م) الذي أثبت - مع كونه سنياً - سماحة دينية لافتة للنظر، ونشط دعاة السنة في المملكة، ومنهم بير جوجرات، وكانت منطقة دهارومركز نشاطه الرئيس^(٣)، ولم يتوقف هذا التذبذب المذهبي في بيجابور، إلا عقب سقوط المملكة في قبضة الإمبراطور المغولي السني أورنكزيب.

وفي مدينة جولكنده - حاضرة القطب شاهين - ساد المذهب الشيعي طوال مائة وتسعة وسبعين عاماً، حكم خلالها سبعة حكام، أولهم قلي قطب الملك (ت ٩٤٠هـ/١٥٤٣م)، الذي تأثر بأفكار الداعية الشيعي طاهر بن رضي الهمداني (ت ٩٥٢هـ/١٥٤٥م)، فتشيع مع رموز مملكته^(٤)، وفي عهد السلطان محمد قلي قطبشاه (ت ١٠٢٠هـ/

(١) نهاوندي: مآثر رحيمي، ٢/٢٠٧؛ الحسيني: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، دار ابن حزم، بيروت، ١٩٩٩م، ص ٣٣٦؛ الحسيني: الهند، ص ٢٢٩.

Moulappa, A.K. Kamble, Diplomatic Relation of Deccan Sultanates, India, 2017, p. 74.

(٢) العيدروسي: عبد القادر بن شيخ عبد الله، (ت ١٠٣٨هـ/١٣٢٩م)، النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق: أحمد حال وآخرون، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م، ص ٤٧٨؛ الهروي: طبقات أكبري، ٣/٥٦؛ الحسيني: نزهة، ص ٣٨٤.

(٣) توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وعبد المجيد عابدين وإسماعيل النجراوي، مكتبة النهضة، ١٩٧٠م، ص ٢٣١.

(٤) John Briggs: History of Rise of Mohamden Power in India, New Delhi, 1997, Vol. 3, p. 130.

وللمزيد راجع: محمد سعيد الطريحي: المملكة النظامية وأسرار الإسماعيلية المستترة في الهند، أكاديمية الكوفة، هولندا، ٢٠٠٦م، ص ٩.

١٦١١م)، اعترف بالسيادة الروحية للصفويين على جولكنده، وكان لابد من أخذ الموافقة الصفوية عند تولية السلاطين، وخطبة الجمع والأعياد باسم الأئمة، وفي عهد السلطان عبدالله قطبشاه (ت ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م)، أصبحت جولكنده مركزاً علمياً شيعياً، ومحطة لكبار علماء المذهب، وعلى رأسهم مير محمد منعم، ومير جمال^(١)، وقد دفع مغالاة سلاطين جولكنده في التشيع الإمبراطور جهانكير لمحاصرة المدينة حتى تعهد السلطان أبوالحسن (ت ١٠٩٧هـ/١٦٨٧م) بالتوقف عن سب الخلفاء الراشدين، والخطبة لهم على المنابر^(٢)، إلا إنه عدل عن ذلك عقب رحيل القوات المغولية.

وفي مدينة أحمد نكر حاضرة المملكة النظامية، لعب الدعاة الشيعة دوراً مميّزاً في عهد أول ملوكها أحمد الأول (ت ٩١٤هـ/١٥٠٨م)، ومنهم الشيخ محمد بن يوسف (ت ٩١٠هـ/١٥٠٦م)، الذي لقب بأسد العلماء، وجمع حوله أعداداً غفيرةً من مسلمي الكجرات والدكن، وقد استقبله السلطان أحمد بنفسه^(٣)، أما السلطان برهان الأول (ت ٩٦١هـ/١٥٥٣م)، ففي اليوم الأول لتشييعه، اتبعه ثلاثة آلاف ممن حوله، وقد غالى حتى عين اللاعنين للخلفاء الراشدين، وفرض أجوراً مجزية لهم^(٤)، وشجع دعاة الشيعة للقدوم إلى أحمد نكر، وعلى رأسهم خواجه جهان، الذي اتخذ من قلعة برينده مركزاً لدعوته، والشيخ أحمد النجفي، الذي حضر خصيصاً من خراسان لمناظرة السنة، ناهيك عن عدد من ندماء السلطان، منهم ملا علي، وملا رستم الجرجاوي، وملا عزيز الكيلاني، وملا بير الشرواني^(٥)، وأوعز هؤلاء للسلطان بالإقدام على خطوات أخرى أشد خطورة ضد علماء السنة فنكل بهم، وصادر أوقافهم ومنع الرواتب عنهم وحول كل ذلك للمتشييعين^(٦)، والجدير

(١) صاعدي شيرازي: ميرزا نظام الدين أحمد (ت القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي)، حديقة السلاطين - ألفه في حدود (١٠٥٣هـ/١٦٠١م)، تصحيح: سيد علي أصغر، حيدر آباد، دكن، ١٩٦١م، ص ٥٩.

(٢) أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، دار نهضة الشرق، ٢٠٠١م، ص ٢٢٤.

(٣) الحسيني: نزهة، ص ٤١٨-٤١٩.

(٤) الحسيني، الهند ٢٣١؛ ونزهة، ص ٣١٧؛ الطريحي، المملكة النظامية، ص ١٠.

(٥) الحسيني: نزهة، ص ٣١٧، ٣٢٢؛ مرتضى حسين صدر الأفاضل، مطلع أنوار، ناشر خراسان إسلامك، رشيد أرت، لاهور، ١٩٨١م/١٣٤٠هـ، ص ١٢٧.

(٦) أبوظفر: مختصر تاريخ الهند، ص ١٣٢.

والجدير بالذكر هنا، أن هؤلاء السلاطين برغم انتمائهم للمذهب الإمامي؛ لم يمنع ذلك وجود دُعاة للإسماعيلية، ومنهم بير صدر الدين (ت ٨١٩هـ/١٤١٦م) صاحب كتاب دست أوتار - النواب العشر، وداود بن عجب شاه (ت ٩٩٧هـ/١٥٨٩م)، الذي قدم خصيصًا من اليمن لنشر مذهبه في الدكن^(١)، وعلى المستوى السياسي؛ فقد رُحِبَ بمثل هؤلاء الدعاة في ممارسة نشاطهم، وكان على علماء السنة بذل المزيد من الجهد للتصدي لهم.

أولاً: التشيع في الدكن بين الإيمان والمواقف السياسية:

إن كلمات كان يردها السلاطين الدكنيون المنتشيعون مثل القتال من أجل آل البيت، أو بدعم الأئمة وأرواحهم المقدسة^(٢)، لا يجب أن ننخدع بها عند البحث عن الأسباب التي دعت حكام الدكن السنة- سابقاً - لاعتناق المذهب الشيعي، وفرضه على الأهالي بكافة الوسائل، فإن مثل تلك الإيمانية العقائدية ليس لها مكان الصدارة، بل تُوظف في أغلب الأحيان سياسياً.

الواقع يثبت عكس ذلك، فأسماء مثل أيمنة، فتو، وبهامكس هي أسماء لنساء عاهرات كانت لهن مكان الصدارة عند هؤلاء الحكام^(٣)، وقتل العديد من الأمراء والقادة ليس لأنهم يرغبون في الخروج عليهم، بل فقط لأنهم سبقوهم إلى إحداهن^(٤)، وبلغ الأمر إلى ممارسة البغاء من جانب بعض هؤلاء السلاطين بصحبة القادة في الحارات والخانات^(٥)، بل وموت أحدهم، وهو السلطان علي عادل شاه مقتولاً على يد خواجه سري، وهو أحد المردان الذي اعتاد مضاجعتهم^(٦)، ولا ننخدع بأن أحدهم هو السلطان محمد قلي، شيد مدينة باسم سيدنا سيدنا علي، وهي حيدر آباد، فهي في الأصل كانت لإحدى عشيقاته، وتُدعى بهاك نكر^(٧). نكر^(٧). ناهيك عن تلك الأسباب الواهية التي قدمها مثل هؤلاء الحكام لتوضيح سبب تشيعهم

(١) Aziz: An Intellectual History, pp. 22, 24.

(٢) نهاوندي: مآثر رحيمي، ٤٠٦/٢. وانظر أيضاً:

Roy S. Fischel: Shii Rulers Safavid Alliance and Religion of Deccan, London, p. 137.

(٣) الهروي: طبقات أكبري، ٤٩/٣، ٥١، ٥٢، ٥٧، الطريحي: النظامشاهية، ص ١٨.

(٤) الهروي: نفس المصدر، ٤٩/٣.

(٥) الهروي: نفسه ٥٢/٣، الطريحي: النظامشاهية ٢١.

(٦) العيدروسي: النور السافر، ٤٨٧، الطريحي: العادل شاهية، ص ١٧.

(٧) الهروي: طبقات أكبري، ٥٧/٣، الحسيني: الهند، ص ٢٣٢. الطريحي: تاريخ الشيعة في الهند، طبعة

دائرة المعارف الهندية، ط أولى ٢٠٠٥، ١٧/٢.

تشيعهم مثل رؤية السلطان يوسف عادل شاه للخضر في المنام يدعو للتشيع^(١)، والسلطان برهان شاه يمرض ابنه، فيعالجه الداعية الشيعي طاهر الحسيني، فيرى في ذلك معجزة تجعله يؤمن بفكرة الإمامية^(٢)، ليس هؤلاء الحكام بالسذاجة لتجعلنا نعتقد أنهم آمنوا بمثل تلك الأمور، ففي هذا العالم المتحارب والمتقاتل ليس هناك مكان لسذاجة تبني عليها عروش السلاطين، إذن فما هو الدافع؟

ابحث عن الانتهازية السياسية، ولتوضيح ذلك؛ نذهب إلى خراسان حيث أن كل المؤشرات تدل على نفوذ شيعي ينمو على حساب الوجود السني، ونقصد هنا الصفويين الذين استطاع زعيمهم إسماعيل الصفوي (ت ٩٣٠هـ/١٥٣٣م) توحيد خراسان بالحديد والنار، وقضى على الزعيم الأوزبكي السني شيباني خان، وضم إليه أجزاء من بلاد ما وراء النهر والعراق^(٣)، ودفع ذلك بابرشاه مؤسس دولة أباطرة مغول الهند للتحالف معه^(٤)، أما ابنه همايون؛ فقد لجأ للشاه طهماسب الصفوي، الذي أمده بجنده، فاستعاد عرشه في دهلي، وقضى على خصومه من الأفغان، ودفعه ذلك للتظاهر بالتشيع إرضاءً للصفويين^(٥)، أما ابنه الإمبراطور محمد أكبر؛ فقد أظهر تسامحاً مع الشيعة، ويكفي أن نسمع أسماء مثل أبو الفضل الناكوري وعبدالرحيم خان والشوشتري، وكلهم أسماء لرموز شيعية، كان لها دور سياسي وإداري في الإمبراطورية المغولية في عهده^(٦).

(١) نهاوندي: مآثر رحيمي ٤٠٦/٢.

(٢) فرشته: كلزار إبراهيمي البون، ص ١٣٠.

Roy: Shii Rulers Safavid, p. 218.

(٣) أرسينوس فامبري: تاريخ بخارى، ترجمة: أحمد محمود الساداتي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٧م،

١٩٨٧م، ص ٣١٨. وللمزيد راجع: كولن تيرنر، التشيع والتحول في العصر الصفوي، ترجمة: حسين

عبد الساتر، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٨م، ص ١٢٤-١٣٣.

(٤) فخري الهروي: روض السلاطين، تصحيح: خيا ميسور، تبريز، ١٣٤٥هـ، ص ١٥١؛ فامبري: تاريخ

بخارى، ص ٣٢٧.

(٥) البدواني: عبد القادر بن ملوك شاه (ت ٩٣٧هـ/١٥٣٠م)، منتخب التواريخ، ترجمة وتحقيق: جورج

ريكنج، نيودلهي، ب.ت، ١/٥٥٩-٥٧٣؛ فرشته: كلزار إبراهيمي، ١/٢١٨، ٢٢٠. وللمزيد راجع:

Lane Pool: Medieval India under Mohmmedan Role, London, N.D., p. 326.

(٦) عن النفوذ الشيعي في عهد الإمبراطور أكبر، راجع: أحمد إبراهيم علي: "الحياة السياسية ومظاهر

الحضارة في الهند في عهد السلطان جلال الدين محمد أكبر (٩٦٣-١٠١٤هـ/١٥٥٦-١٦٠٥م)"،

رسالة دكتوراة، كلية دار العلوم - المنيا، ٢٠٠٤م، ص ٣٨٥-٣٨٧.

بات الشرق الإسلامي وكأنه في قبضة شيعية قوية، فلماذا لا يتنافس حكام الدكن على تقليد النموذج الصفوي، والاستقواء بالصفويين ضد الهندوس وأباطرة المغول^(١)، ومن ناحية أخرى، فإن دعوات النسب إلى البراهمة، وخصوصاً في مملكة جولكنده، كان لها رد فعل ناجح من خلال الربط بين المادية الهندوكية والشيعية، من خلال صور الآلهة وصور الأئمة، ناهيك عن الممارسات الشعائرية المرتبطة بالرقص والغناء، وتلك المتعلقة بالحسينيات الشيعية، نجحت تلك الفكرة في جعل مملكة جولكنده عالمًا شيعيًا قائمًا بذاته^(٢)، كل تلك المغريات السياسية؛ دفعت هؤلاء الحكام لاعتناق المذهب الشيعي، وفرضه على الأهالي متخذين عدة وسائل، وهي:

(أ) **الارتباط بالخارج:** كان لابد من تدعيم الصلات الدكنية الصفوية، ومن ثم أصبح من الرسوم الملكية إرسال السفراء لأخذ الموافقة من الشاه الصفوي على تولية حكام الدكن، وهذا ما فعله يوسف عادل شاه عام (٩٠٩هـ/١٥٠٩م)^(٣)، وقد أقره الشاه إسماعيل الصفوي حاكمًا على بيجابور، وأنعم عليه بلقب شاه^(٤)، وفي رسالة مماثلة؛ وصف عباس الصفوي عائلتي الصفويين والبيجابوريين بأنهم أطهار طيبين^(٥)، وكانت السفارات الدكنية في رسائلها تحوي ألقابًا ونعوتًا فخريَّةً للصفويين، مع توضيح الجهود المبذولة لنشر التشيع، ورفع راية الإمامية، وكان هذا فحوى رسالة السلطان إبراهيم قطبشاه إلى الشاه طهماسب عام (٩٧٣هـ/١٥٢٤م)، وكذلك رسالة السلطان برهان شاه عام (٩٥١هـ/١٥٤٤م)^(٦)، أضف لذلك الدعاء للصفويين للصفويين على المنابر، وترتيب الجيوش الدكنية على النظام الصفوي، ناهيك عن انتشار أسماء صفوية، مثل إسماعيل وطهماسب بين العائلات الملكية في الدكن^(٧).

(ب) **دعوة علماء الشيعة إلى الدكن:** في إطار نشر المذهب الشيعي في الدكن حرص السلاطين على دعوة علماء الشيعة للبلاد، ووظفوا لذلك مسؤولين في البلاط الملكي، وكان

(١) Cambridge: Architecture and Art of Deccan Sultanats, Cambridge, 1999, p. 156.

(٢) الحسيني: الهند، ص ٢٣١.

(٣) Moulappa: Diplomatic Relation, p. 75.

(٤) Cambridge: A social History of the Decca (1300-1761), Cambridge, 2005, p.13.

(٥) Moulappa: Diplomatic Relation, p. 75.

(٦) Roy: Shii Rulers Safavid, p. 218.

(٧) الهروي: طبقات أكبري، ٥٥/٣؛ مرتضى: مطلع أنوار، ص ٢٩٣؛ الحسيني: الهند، ص ٢٣٠.

السلطان علي عادل شاه يستهين بالخروج من بيجابور، ويرحل لعدة فراسخ لاستقبال بعض علماء الشيعة الوافدين إليه^(١)، وقد اتخذت عدة إجراءات لذلك، منها:

- **المكافآت المالية:** لعب المال دورًا أساسيًا في جلب العلماء الشيعة إلى الدكن، التي عُرفت بأنها أرض الذهب والماس، وعلينا ألا نندهش بهذا السخاء الملكي، فنجد السلطان علي عادل شاه يقدم للعالم فتح الله الشيرازي مكافأة مالية أربعين ألف هونًا^(٢). وذُهل الشاعر حيدر ذهني عندما حصل على ألف هون من السلطان إبراهيم الثاني^(٣)، واضطر الشاعران ظهوري ومالك إلى استخدام جملين لحمل الذهب والهدايا الذي أنعم بها عليهما السلطان نفسه عقب مساعدته في تأليف كتابه الموسيقي المعروف بالنورس، وحصل الشاعر ملك على حمل بغير من الذهب بعد إتمامه منظومة منبع الأنهار^(٤)، ودفع ذلك الشاعر ظهوري للتغزل بالدكن، وكرم السلطان إبراهيم الثاني^(٥).

- **الوظائف الإدارية:** من أرفع المناصب التي حصل عليها العلماء الوافدون؛ منصب وكيل المملكة، وهو يعد الرجل الأول في الجهاز الإداري، وهنا تبرز شخصية الداعية الشيعي فتح الله الشيرازي في عهد السلطان علي عادل شاه^(٦)، والأمير شاه قلى التركماني وكيل مملكة أحمد نكر لثلاثين عامًا، والمشهور بلقب صلابتخان^(٧)، وكان شاه نواز خان وكيل مملكة بيجابور في عهد السلطان إبراهيم الثاني وهو الذي علمه اللغة الفارسية^(٨)، هذا بجانب منصب الولاية، وأشهر الولاية هنا أحمد بن عبدالله الشيرازي (ت ١٥١٦هـ/١٥١٦م) والي مدينة برار في عهد السلطان برهان شاه^(٩)، أما الأديب العربي أحمد بن محمد (ت ١٠٨٦هـ/١٦٧٥م) فتولى حيدر آباد في عهد السلطان عبدالله قطبشاه، وظن الجميع أنه سيتولى الملك بعده^(١٠)، ناهيك عن منصب مير جملة - سفير، وكان يُضاف إلى الأدباء

(١) الهروي: طبقات أكبري، ٥٦/٣.

(٢) Chopra: History of South India, p. 211.

(٣) Ibrahim Adil shah II, Kitab-I-Nauras, New Delhi, 1956, p. 21.

(٤) Ibid.

(٥) محمد السعيد عبد المؤمن: الأدب في العصر الصفوي، القاهرة، ١٩٨٤م، ص ١٠١.

(٦) الهروي: طبقات أكبري، ٥٦/٣.

(٧) فرشته: كلزار، ص ١٣٥؛ مرتضى: مطلع أنوار، ص ١٥٥؛ أبوظفر: مختصر، ص ١٣٥.

(٨) Ibrahim Adil shah II, Kitab-I-Nauras, p. 26.

(٩) الطريحي: النظامشاهية، ص ٥٢.

(١٠) الحسيني: نزهة الخواطر، ص ٦٣٤.

الموهوبين مثل الشاعر غواصي^(١)، أو المؤرخين المرموقين مثل رفيع الدين الشيرازي صاحب كتاب تذكرة الملوك^(٢)، هذا بجانب منصب أتاليقي - مربى الأمير، وتولاه عناية الله الله الشيرازي، حيث رعى الأمير علي عادل قبل أن يكون سلطاناً على بيجابور^(٣)، وأسند إلى إلى باقر الكشاني (ت ١٠٠٠هـ/١٥٩٣م) منصب أمين مكتبة بيجابور^(٤).

- **الألقاب والنعوت الفخرية:** ولرفع شأن هؤلاء العلماء؛ تم منحهم ألقاباً فخرية، منها لقب كبير العرب، حصل عليه الشيخ أحمد الجوهري المكي (ت ١٠٧٩هـ/١٦٦٨م) في حيدر آباد^(٥)، وأطلق على الشاعر نصرتي شاعر الريف الدكني^(٦)، ومُنح الشيخ سيد محمد محمد قادري لقب أستاذ العلماء ونور الله^(٧)، والمعلم فتح الله الشيرازي لقب داهية العقل^(٨)، العقل^(٨)، ومُنح مير محمد مؤمن في حيدر آباد عدة ألقاب، منها ركن السلطنة، ومرتضائي ممالك الإسلام، ونواب علامي^(٩)، ناهيك عن العديد من الألقاب الأخرى التي يطول المقام في الحديث عنها.

- **المصاهرات:** ومن النماذج هنا، الأديب العربي الحسن بن شذقم (ت ١٠٤٦هـ/ ١٦٣٧م)، الذي تزوج من الأميرة فتح شاه أخت السلطان حسين نظامشاهي^(١٠)، والأديب حسين بن أسد الكلبركوي (ت ٩٥٨هـ/١٥٥١م)؛ فقد تزوج ابنة السلطان إبراهيم قطبشاه^(١١).

(١) نصير الدين هاشمي: دكن مين أردو، ناشر ترمي أرو بيورد، دهلي، ١٩٨٥م، ص ١٠٧.

(٢) محمد عباس: "رفيع الدين إبراهيم الشيرازي، مؤرخ دربار عادل شاهي"، مجلة

The history of Islamic Civilization, Vol. 50, No. 1.

(٣) بشير الدين أحمد دبلوي: واقعات بيجابور، كرنانك أردوأكاديمي، بنكلور، ٢٠٠٣م، ص ١١٠-١١١.

(٤) Ibrahim Adil shah II, Kitab-I-Nauras, p. 20.

(٥) العامل: أمل الأمل، ١٩٤/٢.

(٦) هاشمي: دكن مين أردوا، ص ٢١٤.

(٧) عارف نوشاهي: آثار فارس شده در شبه قارة هندوباكستان، بنجلادش، جلد چهارم، طهران، ٢٠٠٧م،

ص ٢٤٦٢.

(٨) Moulappa: Diplomatic Relation, p. 94.

(٩) صاعدي: حديقة، ص ٧٨-٧٩، ١١٣؛ مرتضى: مطلع أنوار، ص ٦٠٣-٦٠٤؛ الطريحي، الشيعة

١٦٣/٢.

(١٠) الطريحي: النظامشاهية، ص ٦٣؛ الشيعة، ٥٥/٢.

(١١) السامرائي: علماء العرب شبه القارة الهندية، ص ٢٦٤؛ الطريحي: الشيعة ١٧/٢.

وتزوج الأديب سيد علي خان (ت ١١٧٧هـ/١٧٠٥م) من أخت السلطان عبدالله قطبشاه^(١)، ونتيجة لما سبق؛ فقد ارتفعت منزلة هؤلاء العلماء، فوجد الشيخ شاه طاهر يتدخل لعقد الصلح بين مملكتي بيجابور وأحمد نكر عام (٩٣٠هـ/١٥٢٣م)^(٢)، وفي عام (٩٩٦هـ/١٥٤٧م)، استطاع الوافدون الخراسانيون عزل السلطان مرتضى نظامشاهي، وتولية ابنه حسين حكم أحمد نكر^(٣) قبل أن يقتل هذا الأخير على أيديهم.

(ج) الدعاية المذهبية - توظيف اللاعنين: عمد سلاطين الدكن إلى تغيير القواعد الدينية السننية، بل ومحوها عن طريق توظيف اللاعنين على الخلفاء الراشدين - دون علي - منهم ثلاثة آلاف لاعن، انتشروا في شوارع وأسواق ومساجد بيجابور في عهد السلطان علي عادل شاه، وكان الأطباء الشيعة يمارسون اللعن بجانب الطب، ويتقاضون رواتبهم على ذلك^(٤)، وكان ذلك سائداً في بقية المناطق الشيعية، ناهيك عن إلزام العاملين في الجهاز الإداري بارتداء القلنسوة الشيعية - القزلباش، مع تغريم المخالفين اثني عشر خروفاً، وحال تكرار المخالفة، يشهر بهم في الأسواق^(٥).

- **المؤسسات الشيعية:** اهتم سلاطين بيجابور بالمؤسسات التعليمية، ويعتبر مسجد خانبور الذي شيده السلطان علي عادل شاه أشهرها، حيث جعل الأرزاق فيه على طلاب العلم الشيعي^(٦)، والسلطان إبراهيم الثاني - رغم كونه سنياً؛ فقد أسس مدينة نورسبوه العلمية، العلمية، جمعت كافة العلماء مع أسرهم^(٧)، وفي منطقة الآثار الشريفة، شيد السلطان محمد عادل شاه مدرسته العلمية، وكان طلابها يحصلون على طعامهم من المطبخ السلطاني، بجانب الكتب مع مصروف شهري بلغ هوناً^(٨). أما المدارس الخاصة؛ فمنها مدرسة الأمير

(١) القنوجي: أبجد العلوم، ٢٣٨/٣.

(٢) John Briggs: A history of India Rise of Mohamaden Power in India, 3\130.

(٣) العيدروسي: النور السافر، ص ٥٦٧.

(٤) Moulappa: Diplomatic Relation, p. 74.

(٥) الطريحي: العادلشاهية، ص ١٤.

وهي طاقة الرأس عليها أسماء الأئمة الإثني عشرية وكان يرتديها الجند الفرس الصفويين عنها راجع: Cambridge: A social History of the Decca, p. 13.

(٦) الحسيني: نزهة الخواطر، ص ٣٨٥.

(٧) جرهام بيلي: الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية، ترجمة: حسين نجيب المصري، دار الثقافة، ٢٠٠١م، ص ٥١.

(٨) Hakim: India during Muslim Rule, p. 187.

خسروآقا (ت ٩٥٦هـ/١٥٤٩م)، وكان ينفق عليها من ماله الخاص بهدف نشر العلم الشيعي^(١)، وأما الشيخ علي بن أسد الله الملقب أستاذ الأولياء (ت ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م)؛ فقد شيد مدرسة في بيجابور، وكان يُحاضر فيها العلماء المشهورون في عهد السلطان إبراهيم الثاني^(٢)، وفي أحمد نكر المدرسة البرهانية التي شيدها السلطان برهان عام (٩٢٩هـ/١٥٢٣م)، ووظف لمن يقرأ فيها، وأوقف عليها ضياعاً^(٣)، أما الشيخ راضي بن طاهر (ت ٩٥٢هـ/١٥٤٥م)؛ فقد أسس مدرسة شيعية في منطقة برينده، عُرفت بالمدرسة الطاهرية، كان يحضر إليها السلطان بنفسه، وعليها شيد السلطان حسين شاه مسجداً^(٤).

وفي حيدر آباد؛ يُعزى للسلطان محمد قطبشاه تشييد أكبر مسجد في الدكن، عُرف بالمسجد العتيق^(٥)، وفي عام (١٠٠٦هـ/١٥٩٦م)، شيد مدرسة، وألحق بها قصرًا رائعًا فيه أربع منارات وقبة، وفي وسطها حوض يفور الماء منه، وبنى مساكن للطلبة^(٦)، أما السيدة حيات النساء - أم السلطان عبدالله قطبشاه - فشيدت مدرسة ببلدة حيات نكر، كانت تنفق عليها مائتي هونًا شهريًا، وخارج قلعة جولكنده، شيد الشيخ محمد خاتون العاملي مدرسة شيعية، كان ينفق عليها ألف هونًا شهريًا من خزانة السلطان عبدالله قطبشاه^(٧).

- الحُسينيات: كان للحُسينيات الشيعية دورٌ في إشعال نار الغضب تجاه السنة، حيث تُقرأ فيها المرثي الفارسية في الاحتفالات الشيعية، خاصةً عاشوراء، ففي جولكنده، شيد السلطان إبراهيم قطبشاه بادشاهي عاشور خانة - الحُسينية الملكية - عام (١٠٠٣هـ/١٥٩٤م)، وخصص لها سبعين ألف هونًا، وكان شاه أخذكار - ابن عم السلطان محمد قلي - المسؤول عنها^(٨)، وألحق بها قاعة أخرى نحاسية، احتوت علي مائتي مصباح لإنارتها^(٩)، وكان السلطان عبدالله قطبشاه يحضر إليها حافي القدمين بالملابس السوداء،

(١) الحسيني: نزهة الخواطر، ص ٣٣٦.

(٢) الحسيني: نفس المرجع، ص ٥٩٠.

(٣) Hakim: India during Muslim Rule, p. 187.

(٤) Ibid., p. 189.

(٥) Chopra: History of South India, p. 210.

(٦) Hakim: Hakim: India during Muslim Rule, p. 188.

(٧) Ibid.

(٨) الطريحي: الشيعة، ٢/٢١، ٢٨.

(٩) هاشمي: دكن مين أردو، ص ٢٧٠.

وحوله المداحون يتلون كلمات التأبين^(١)، وفي بيجابور؛ عمد السلطان علي عادل شاه علي تشييد أكبر عدد من الحُسنيات على أنقاض المعابد الهندوسية، منها اثنان في منطقة مودجا Mudga على بعد خمسة وسبعين ميلاً جنوب شرق بيجابور^(٢)، ناهيك عن القاعة الأساسية الأساسية حسنى محل^(٣).

- **الحدائق والأضرحة:** في إطار الدعاية الشيعية؛ اهتم سلاطين بيجابور بإنشاء الحدائق التي تحمل أسماء وأعلام شيعية، منها حدائق منطقة حصار التي شيدها السلطان علي عادل شاه عام (٩٧٣هـ/١٥٦٥م)، وهي تحمل أسماء الأئمة، مثل حديقة علي، وحديقة علوي، وكان يضرب بها المثل في الجمال والروعة^(٤)، هذا بجانب مراقد علماء الشيعة المعروفة باسم مقابر السادة، دُفن فيها أشهر علمائهم، منهم خواجه أمين الدين، والأمر نفسه في أحمد نكر، حيث عُرفت مقابر الشيعة باسم مقابر القبة^(٥)، وحتى أهم المدن، حملت طابعاً شيعياً، مثل مدينة بهاك نكر، تم تغيير اسمها إلى حيدر آباد؛ لأن حيدر اسم علي بن أبي طالب^(٦).

ثانياً: المؤلفات الدكنية بين الفعل ورد الفعل:

من خلال البحث عن أهم المؤلفات الدكنية، يُلاحظ هيمنة المؤلفات الشيعية في مقابل مثيلتها السنية، والسبب ببساطة أنه من يكتب والسلطة معه، ليس كمن يكتب والسلطة ضده، ناهيك عن وجود هذا العدد الهائل من علماء الشيعة الذين هاجروا للدكن، وكرسوا حياتهم للتأليف والكتابة بهدف فرض الثقافة الشيعية، أضف إلى ذلك؛ نشر الخرافات والأباطيل التي تواكب هوى أنصاف المتعلمين، ويمكن أن نلتمس ذلك من خلال أجواء التأليف الشيعي في الدكن، ففي أوائل محرم عام (١٠٥٠هـ/١٦٤٠م)، أنكر إمام السنة مجالس التعزية، فناقشه الداعية الشيعي نجم الدين إسكندر، فأفحمه - طبقاً للرواية الشيعية- فأصابه اللعنة الشيخ السني، فلدغته حية، وهنا أراد نجم الدين توعية جمهور السنة، وبذل

(١) هاشمي: نفس المرجع ، ص ٢٧٠-٢٧١.

(٢) Richard: Maxwell, Sufis of Bijapur (1300-1700), New Delhi, 1996, p. 64.

(٣) هاشمي: دكن مين أريدو، ص ٢٧١.

(٤) دبلوي: واقعات بيجابور، ص ١٣٦.

(٥) فرشته: كلزار، ٢/٣١٠-٣١١.

(٦) Cambridge: A social History of the Decca, p. 17.

النصح لهم، فألف كتابه مرآة المذاهب^(١). ويمكن تتبع أهم الأعمال الدكنية من خلال الآتي:

(أ) المؤلفات المذهبية: هي من أهم أنواع المؤلفات الدكنية؛ لأنها حُصصت لترويج المذهب الشيعي، ويأتي على رأس المشتغلين بها الداعية طاهر بن رضي الدين (ت ٩٥٢هـ/١٥٤٥م) من خلال ثلاثة أعمال هي، كلشن راز (جمع الأسرار)، وتحفة شاهي (الهداية الملكية)، وكاسرو (الخدمة)^(٢)، كما ألف الداعية محمد بن أحمد الخواجنكي (ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) كتابه إلهام النظامية في مذاهب الأمامية، أما خطيب القطبشاهيين الداعية معز الدين محمد الموسوي (ت ١٠٣٧هـ/١٦٢٨م)، فله كتاب ضروريات أصول الدين^(٣). وقد راجت تلك المؤلفات في مدينة أحمد نكر، وطرح الشيخ بدر الدين بن الحسن المعروف بابن شذقم (ت ١٠٤٦هـ/١٦٣٧م) كتابه الجواهر النظامية في حديث خير البرية^(٤)، وفي إطار ربط النبوة بالإمامة؛ ألف معز الدين الأردستاني كتابه حديقة الشيعة عام (١٠٥٨هـ/١٦٤٨م)، وقدمه هدية للسلطان عبدالله قطبشاه، الذي كتب مقدمته بنفسه^(٥)، ومن المؤلفات الأكثر شهرة، كتاب الأربعين للشيخ طاهر بن محمد الشيرازي (ت ١٠٩٨هـ/١٦٨٦م)، ذكر فيه أربعين دليلاً على إمامة أمير المؤمنين علي والأئمة الأطهار^(٦)، أما الشيخ صدر الدين أحمد المعروف بابن معصوم (ت ١١١٧هـ/١٧٠٥م) فله كتاب الدرجات الرفيعة في طبقات الإمامية من الشيعة، وهو مرجع لحياة الأئمة^(٧).

كما راجت في أحمد نكر فكرة المهدي المنتظر، ودعا لها سيد محمد الكاظمي (ت ٩١٠هـ/١٥٠٥م)، وعُرف أتباعه بالمهدوية، وتشيع له السلطان أحمد نظامشاهي^(٨)، وفي إطار الترويج للمهدوية، ألف محمد باقر القائي عام (٩٦٥هـ/١٥٥٧م) كتابه الرد على

(١) الطهراني: الذريعة، ٣٨٦/٦.

(٢) Chopra: History of South India, p. 211.

(٣) الطهراني: الذريعة، ١٩٥/٢٤، ١١٧/١٥.

(٤) العاملي: أمل الأمل، ٧٠١٢؛ العيدروسي: النور السافر، ص ٢٥٠، مرتضى: مطلع أنوار، ص ١٨٧.

(٥) الطهراني: الذريعة، ٣٨٨/٦.

(٦) المجلسي: محمد باقر (ت ١١١٠هـ/١٦٩٨م)، بحار الأنوار لدرر الأئمة الأطهار، مؤسسة الوفاء،

بيروت، ١٩٨٣م، ٨١/١٠٢.

(٧) جواهر الكلام، آثار الشيعة، ص ١٧١، ١٧٣، الطريحي: آثار الشيعة، ٨٣/٢.

(٨) البدواني: منتخب التواريخ، ١٠-٦/٣.

من حكم وقضى بأن المهدي الموعود جاء ومضى^(١)، وألف عبد المؤمن المشهور بميسوري (ت ٩٨٩هـ/١٦٨١م) كتاب أسرار عشق، سرد فيه حياة الكاظمي^(٢)، أما أشهر مؤلفات المهديوية في الدكن فهو كتاب مطلع الولاية في إثبات المهديوية لصاحبه القاسم بن يوسف (ت ١٠١٦هـ/١٦٠٧م)^(٣)، وتدل تلك المؤلفات أن الدكن أصبحت أرضاً خصبة لنمو مثل تلك الأفكار المذهبية الشاذة، وتجد لها داعمين كثر.

وفي مجال الحماسة المذهبية، لعبت المراثي الشيعية دوراً بارزاً في الدكن، وهي تلقى في الحسينيات نظماً ونثرًا، وكان من أشهر المهتمين بها السلطان قلي قطبشاه في جولكنده، وتحفظ مكتبة إيدنبرج الألمانية بمائتي وتسع وثمانين مرثية لثلاثة وستين شاعرًا دكنيًا^(٤)، وأشهرها تحفة الطالب في مناقب علي بن أبي طالب للشيخ محمد بن علي الشحوري (ت ١٠١٢هـ/١٦٠٣م)^(٥)، وعلى غرارها، ألف الأديب ابن شذقم مرثية جواهر الطالب في فضائل مولانا علي بن أبي طالب، وألف الشاعر سيو عدة مراثي، عُرفت باسم روضة الشهداء، وللشاعر قاسم ميرزا مرثية حياة الإمام محمد بن الحنفية وقصته مع يزيد بن معاوية، وكلا الشاعرين ماتا عام (١٠٩١هـ/١٦٨٠م)^(٦)، وقد لعبت تلك المراثي دوراً في الترويج المذهبي بين العامة من الأهالي الذين كانوا يحرصون على حضور تلك المناسبات التي توزع فيها الأطعمة والنقود بحضور السلاطين النظامشاهين.

بذل علماء السنة جهوداً مضيئة للتصدي لتلك المؤلفات المذهبية الشيعية التي كانت تستهدف شرائح المجتمع الدكني، ومن أهم علماء السنة هنا العلامة علي المتقي (ت ٩٧٥هـ/١٥٢٦م)، وهو من أبناء مدينة برهان فور الدكنية، حيث اشتغل في مجال الدعوة، وترك ما يقرب من مائة مؤلف في هذا المجال^(٧)، وكذلك فعل الشيخ صبغة الله البروجي (ت ١٠١٥هـ/١٦٠٦م)، الذي قام عامًا في أحمد نكر، ثم رحل إلى بيجابور، وأقام بها

(١) الطهراني: الذريعة، ١/٢٢٧.

(٢) جراهام بيلي: الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية، ص ٥٦.

(٣) الحسيني: نزهة، ص ٦٠٣.

(٤) جراهام بيلي: الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية، ص ٦٠-٩٠.

(٥) العامل: أمل الأمل، ١/١٦٩؛ الحسيني: نزهة، ص ٦٢٠؛ مرتضى: مطلع أنوار، ص ٤٦٩.

(٦) جراهام بيلي: الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية، ص ٥٣، ٥٦، ٦١.

(٧) البلكرامي: سبحة المرجان في أخبار الهندوستان، ص ٩٥-٩٦.

خمس سنوات، وأهم كتبه في العقيدة إراءة الرقائق وكتاب الوحدة^(١)، وبرغم تواضع هذا المجهود في التأليف، إلا أن مثل تلك الأعمال سهلت إيجاد نوع من التوازن بين المؤلفات الشيعية والسنية.

(ب) المؤلفات الدينية: ففي القراءات يأتي على رأسها كتاب قواعد القرآن للشيخ يار محمد ابن حداد السمرقندي، ألفه باسم السلطان عبدالله قطبشاه، وألف الشيخ مهذب الدين أحمد عام (١٠٨٩هـ/١٦٧٤م) كتابه تجويد القرآن، أثناء إقامته في حيدر آباد^(٢)، وترجم الشيخ مسيح الزمان القرآن إلى اللغة الأردية^(٣)، وفي التفسير؛ يعد كتاب خواص السور الأهم، وهو وهو عمل جماعي قام به مجموعة من علماء حيدر آباد، وقدموه هديةً للسلطان محمد قلي قطبشاه، كما يُعد كتاب تفسير عين الحياة للشيخ محمد بن الحسين بن عبد الصمد الحائري (ت ١٠٣٠هـ/١٦٢١م) من أشهر كتب التفاسير في الدكن، بجانب كتابه الثاني العروة الوثقى^(٤)، وتنافس الشيعة والسنة في مجال الشروح، ومنها كتاب تفسير البيضاوي للعلامة النسفي، حيث شرحه وعلق عليه الداعية الشيعي محمد مؤمن في أحمد نكر^(٥)، وشرحه أيضاً العلامة السني صبغة الله البروجي (ت ١١١٥هـ/١٧٠٣م)، وفي بيجابور، ألف الشيخ نظام الدين التهانيسري (ت ١١٣٦هـ/١٧٢٣م) عدة مؤلفات أشهرها التفسير النظامي^(٦).

وفي مجال الفقه، عمل المهاجرون الشيعة على نقل أهم كتب الإمامية إلى الدكن، منها كتاب جوابات المسائل الفقهية للشيخ نور الدين الكركي (ت ٩٤٠هـ/١٥٣٣م)، وهو من أبرز منظري الشيعة في خراسان، وقد راج هذا الكتاب في أحمد نكر، وكان عليه اعتماد العلماء، وقد نقله إلى الدكن الشيخ أحمد بن علي بن عطا الجزائري (ت ٩٩٤هـ/١٥٨٦م)^(٧)، وقدم الشيخ محمد بن علي بن نعمة الله شرحاً لكتاب جامع عباسي، وهو أهم كتاب للفقه الشيعي^(٨)، ومن الكتب الفقهية الأخرى، إرشاد الأذهان إلى أحكام الإيمان

(١) البكرامي: سبحة المرجان في أخبار الهندوستان، ص ١٠٤-١٠٥؛ الحسيني: نزهة، ص ٥٤٢.

(٢) الطهراني: الذريعة، ٣٠/٣٦٢، ٢٥/٩.

(٣) الحسيني: عبد الحي، معارف العوارف، دمشق، ١٩٨٣م، ص ١٦٩.

(٤) المجلس: بحار الأنوار، ١٠٦/١١٠؛ الطهراني: الذريعة ٢٦/١٩٢.

(٥) Chopra: History of South India, p. 211.

(٦) الحسيني: نزهة، ص ٥٤٢، ٦٥٦.

(٧) الطهراني: الذريعة، ٥/٢٢٩.

(٨) Chopra: History of South India, p. 213.

لصاحبه الشيخ جمال الدين الحلي (ت ٧٢٧هـ/١٣٢٦م)، وقد شرحه وعلق عليه الشيخ أحمد ابن سلام^(١).

تصدى علماء السنة لنظرائهم الشيعة في مجال الفقه، ونشط فيهم العلامة علي المنقي (ت ٩٧٥هـ/١٥٢٦م)، حيث اهتم بكتب الفقه السننية المشهورة، فنقل وعلق على كتاب جمع الجوامع للسيوطي^(٢)، والشيخ جوهر الشافعي الدكني (ت ١٠٥٦هـ/١٦٠٥م) نشط في بيجابور، وكان له دور تثقيفي فقهي مجتمعي، ونال شهرة وافية، وعقب وفاته دفن في مقابر السادة بالمدينة، ومعه برز العلامة الشافعي الشيخ أبوبكر حسين الحضرمي (ت ١٠٧٤هـ/١٦٢٢م)، وكان مرجعاً للوافدين على المدينة، وأما الشيخ أبو تراب البيجابوري الحنفي (ت ١٠٨٦هـ/١٦٣٤م)، فكان له بصمة في تأليف أكبر موسوعة فقهية إسلامية، ونقصد هنا كتاب الفتاوي الهندية، وذلك من خلال تلميذه النجيب نظام الدين البرهانجوري^(٣).

في مجال الحديث، شغلت الأحاديث بمناقب أهل البيت - من وجهة النظر الإمامية- شيعة الدكن، ومن هنا ألف الشيخ محمد - المعروف بقاضي يزدي - كتابه الجمع والتوفيق بين قولي النبي (صلى الله عليه وسلم) والوصي - يقصد علياً^(٤)، وأشهر الكتب هنا فائق المقال في الحديث والرجال، ألفه الشيخ أحمد بن رضا في حيدر آباد عام (١٠٨٥هـ/١٦٧٤م)، ومن أهم الكتب؛ ترجمة الأربعين حديث للبهائي، قام بذلك العمل الشيخ محمد ابن خاتون العاملي (ت ١٠٢٨هـ/١٦١٩م)، وقدمه هدية للسلطان محمد قطبشاه بعد أن أسماه القطب شاهيه^(٥)، وقد برع في هذا المجال - من علماء السنة - محمد بن طاهر

جامع عباسي: ألفه ميرزا البهائي العاملي باسم الشاه عباس الصفوي قبل وفاته عام (١٠٣١هـ/١٦٢١م).

وللمزيد حول هذا الكتاب وأهميته في الفقه الشيعي، راجع (الطهراني: الذريعة، ٦٢/٥-٦٣).

(١) الحسيني: نزهة، ٤٧٨-٤٧٩. الحلي: من أهم علماء الشيعة، وتزيد مؤلفاته على المائة، ويرجع إليه

تشيع ثامن حكام مغول إيران الخان محمد أولجايت، ووعقب وفاته، دفن جسده في النجف. عنه راجع

(المجلسي: بحار الأنوار، ٢٨٦/٩٩-٢٨٧).

(٢) البكرامي: سبحة المرجان، ص ٩٥-٩٦.

(٣) الحسيني: نزهة، ص ٤٦٥-٤٦٦، ٥١٦.

(٤) الطهراني: الذريعة، ١٣٤/٥.

(٥) المجلس: بحار الأنوار، ١٠٦ / ١١٠؛ الحسيني: نزهة، ص ٢٦٣، ٥١١؛ مرتضى: مطلع الأنوار،

ص ٧٤.

الفتي (ت ٩٨٦هـ/١٥٣٧م)، ومن أشهر مؤلفاته؛ مجمع البحار في غريب الحديث، والمغني في أسماء الرجال، وتذكرت الموضوعات^(١).

(ج) الشعر: وظف الشعر في الدكن توظيفاً مذهبياً، ويأتي في إطار ذلك الشاعر كمال خان رستمي الذي أتم في عام (١٠٥٩هـ/١٦٤٦م) ملحمة خورنامه حكى فيها حياة الإمام علي، وقدمها هدية للسلطان عبدالله قطبشاه، ثم السلطان محمد عادل بيجابوري^(٢)، أما مأساة كربلاء؛ فسطرها الشاعر محمد أشرف في عهد السلطان أحمد نظامشاه^(٣)، ولتكتمل الفكرة سطر الشاعر لطيف عام (١٠٩٥هـ/١٦٨٤م) ملحمة ظفر نامه، شرح فيها حياة الأئمة وجهادهم^(٤).

كان الحضور السني هنا بارزاً من خلال أعمال شعرية ناقشت قضايا العقيدة السنية، ويأتي على رأس المهتمين بذلك؛ الشاعر محمد مختار، وعمله المميز معراج نامه في ثلاثة آلاف بيت، ثم عمله الثاني مولود نامه عن مولد النبي (صلى الله عليه وسلم)، ثم سرد حياة الإمام علي والحسين، والصراع الحقيقي بين الحق والباطل، هذا بجانب الشاعر قدري؛ صاحب ديوان قصص الأنبياء، وهو يحتوى على عشرة آلاف بي^(٥)، والشاعر حبيب الله البيجابوري (ت ١٠٤١هـ/١٦١٥م)، الذي أبدع في قصيدته رؤية النبي (صلى الله عليه وسلم)^(٦).

وفي إطار سرد حياة ملوك الدكن؛ عمد الشعراء الشيعة إلى تأليف ملاحم بطولية لهم، أشهرها ملحمة يوسف شاه للشاعر الخراساني مسيح الكشاني (ت ١٠٦٦هـ/١٦٧٥م)^(٧)، والأشهر منها ملحمة على نامه، التي ألّفها الشاعر ذائع الصيت نصرتي (ت ١٠٩٤هـ/١٦٨٣م)، يتحدث فيها عن حروب السلطان علي ضد إمارة فيايانكر الهندوسية^(٨)، والأكثر

(١) البلكرامي: سبحة المرجان، ص ٩٧-٩٨.

(٢) جراهام بيلي: الأدب الإسلامي، ص ٥٤، ٢٦٨.

(٣) هاشمي: دكن مين أردو، ص ٢٦٣.

(٤) Chopra: History of South India, p. 211.

(٥) هاشمي دكن مين أردو، ص ٢٤٣، ٢٤٨.

(٦) الحسيني: نزهة، ص ٥٢٩.

(٧) البدواني: منتخب التواريخ، ٣/٢٣٠؛ الطهراني: الذريعة، ٩/١٠٤٣.

(٨) جراهام بيلي: الأدب الإسلامي، ص ٤٣، ٥٥، هاشمي: دكن مين أردو، ص ٢١٤، الطريحي: العادل شاهية ص ٥٩.

شمولاً ملحمة بهمن نامه للشاعر نور الدين محمد الأزدي (ت ٩٦٦هـ/١٥٥٩م)، تناول فيها حياة ملوك الدكن المسلمين^(١)، أما حياة السلطان السني إبراهيم الثاني البيجاوري؛ فتناولها الشاعر عبدول في ملحمة إبراهيم نامه^(٢).

وفي مجال نصيحة الملوك؛ ألف الشاعر غواصي مجموعة قصص طوطي نامه (قصص البيغاء)، وقد استلهمها من الأدب الهندي، وذلك عام (١٠٢٥هـ/١٦١٦م)^(٣)، وفي وفي حيدر آباد؛ ألف الشاعر قطبي ديوان تحفة النصائح عام (١٠٤٦هـ/١٦٣٧م)^(٤)، وأشهر الأعمال نجاة نامه للشاعر محمد أمين إياعي البيجاوري، الذي عُرف بتدينه والتزامه الديني^(٥)، وهذه الأعمال هي المختصة بالجانب المذهبي أو السياسي، هذا؛ وقد طُرحت العشرات من الأعمال الأخرى، أشهرها تلك الخاصة بالعشق، ومنها ذات الدلالة الدينية الواضحة.

ثالثاً: المؤلفات الشيعية: دواعي التأليف والفنون.

سيطر الشيعة على عملية التأليف في عدة فنون بالدكن، وكان ذلك نتيجة طبيعية، حيث نقل أغلبها من خراسان مع المهاجرين، ناهيك عن تشجيع السلاطين الشيعة على التأليف، وكان أغلبها باللغة الفارسية؛ مما جعلها وفقاً على طبقة النبلاء دون تعميم الاستفادة منها لباقي طبقات المجتمع، وسنركز هنا على أهم تلك المؤلفات مع فنونها.

(أ) اللغة والبلاغة: يأتي الاهتمام بمؤلفات اللغة والبلاغة في إطار محاولة نشر وتعميم الفارسية والعربية في الدكن، ومنها كتاب برهان قاطع، الذي ألفه مجموعة من الأدباء

(١) مجتبي كرمي: نكاهي به حيدر آباد، ص ٢٨.

(٢) Chopra: History of South India, p. 83.

(٣) جراهام بيلي: الأدب الإسلامي، ٥٠، ٥١.

(٤) الحسيني: نزهة، ص ٦٥١، ٥٢١.

(٥) هاشمي: دكن مين أردو، ص ٢٣٥.

ومن أعمال العشق ذات المغزى السياسي والمذهبي قصة كندر بادان ومهار للشاعر مقيمي وتتناول حكاية أميرة هندوكية وشاب مسلم. ناهيك عن قصص أخرى أهمها قصة بهرام جور البطل الفارسي ألفها الشاعر أمين مثنوى (ت ١٠٢٩هـ/١٦٢٠م) وقصة يوسف وزليخا تناولها الشاعر خشنود عام (١٠٤٤هـ/١٦٣٥م) وديوان كلش عشق- روضة العشق- للشاعر نصرتي وفجر العشق للشاعر وجهي وللمزيد راجع (جراهام بيلي: الأدب الإسلامي، ص ٥١، ٥٤، ٥٥، هاشمي: دكن مين أردو، ص ٨٦، ١٠٠، ١١٥).

المهاجرين على رأسهم حسين التبريزي، وقد فرغوا منه عام (١٠٦٢هـ/١٦٥٢م)، وقدم هديةً للسلطان عبدالله قطبشاه^(١)، أما المهاجرون الشيعة العرب فمن كتبهم الكافية في النحو لصاحبه مير مرتضى الشيرفي (ت ٩٧٢هـ/١٥٦٥م)^(٢)، وألف الأديب سيد علي خان (ت ١١١٧هـ/١٧٠٥م) عدة كتب منها، الحدائق الندية، وطرز اللغة، وأنوار الربيع في شرح البديع^(٣)، وشرح الأديب أحمد بن عبدالله الشيرازي (ت ١٠١٦هـ/١٦٠٧م) الكتب المنسوبة للإمام علي - على حد زعم الشيعة - مثل خطبة البيان وفصل الخطاب^(٤)، ولضبط قواعد المناظرة في مجال اللغة؛ ألف الأديب مهذب الدين (ت ١٠٨١هـ/١٦٧٠م) كتاب آداب المناظرة، وفي المجال نفسه، ألف أحمد العاملي كتابه جامع التمثيل، وقدمه هدية للسلطان عبدالله قطبشاه عام (١٠٥٤هـ/١٦٤٤م)^(٥).

(ب) التاريخ: من أشهر مؤرخي الشيعة في بيجابور؛ رفيع الدين إبراهيم الشيرازي، وهو من أكثر المقربين للسلطان إبراهيم الثاني، وأهم أعماله كتاب تذكرة الملوك، ألفه عام (١٠١٧هـ/١٦٠٨م)^(٦)، كما قدم كتابًا مختصرًا لكتابي روضة الصفا لميرخواند، وحبیب السير لخواندمير^(٧)، أما المؤرخ الشيعي محمد قاسم هندوشاه؛ فقدم للسلطان نفسه عمله الضخم كلزر إبراهيمي، المعروف باسم تاريخ فرشته، ألفه عام (١٠١٥هـ/١٦٠٧م)، تناول فيه تاريخ الإسلام في الهند حتى وقت تأليف الكتاب^(٨)، وألف المؤرخ ظهور القاني كتابه محمد نامه، شرح فيه سيرة السلطان محمد بن إبراهيم (ت ١٠٧٠هـ/١٦٦٠م)^(٩)، وللشاعر نصرتي منظومتين تاريخيتين، الأولى بعنوان علي نامه في شرح سيرة السلطان الشيعي علي عادل

(١) الطهراني: الذريعة، ٩٨/٣.

(٢) الحسيني: نزهة، ٤٢٩.

(٣) عبد العزيز جواهر الكلام: آثار الشيعة الإمامية، ص ١٦٩-١٧٠.

(٤) Chopra: History of South India, p. 211.

(٥) الطهراني: الذريعة ٤٦٢/٣، ١٣٠/٤، ٤٦/٥.

(٦) محمد عباس: رفيع الدين الشيرازي، ص ٥١-٥٢ وللمزيد راجع:

Moulappa: Diplomatic Relation, p. 94

(٧) Ibrahim Adil shah II, Kitab-I-Nauras, p. 22.

(٨) الحسيني: نزهة، ص ٥٤٩؛ عارف نوشاهي، آثار فارسي در شبه قارة هندوباكستانية، ص ٢٤٦٣.

(٩) الحسيني: نزهة، ص ٥٤٩.

شاه، والثانية إسكندر نامه في شرح سيرة خلفائه^(١)، وإذا انتقلنا إلى مدينة أحمد نكر، يأتي ذكر المؤرخ علي بن عزيز الله الطباطبائي صاحب كتاب مآثر برهاني، ألفه عام (١٠٠٩هـ/١٦٠٠م)، وهو يشمل سرد تاريخ الإسلام في الدكن^(٢)، والمؤرخ نظام الدين أحمد المعروف بصاعد الشيرازي (ت ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م) صاحب كتاب حديقة السلاطين، خصه لسرد تاريخ النظامشاهية^(٣)، وبالنسبة لمدينة حيدر آباد؛ فيأتي كتاب مآثر قطبشاهي، وهذا العمل بدأ فيه فيه الداعية بير محمد مؤمن (ت ٩٥٢هـ/١٥٤٥م)، وأكمل في عهد السلطان عبدالله قطبشاه (ت ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م)^(٤)، ناهيك عن كتاب قطبشاهي للمؤرخ الفارسي خورشاه بن كويادي، وفيه شرح تاريخ سلاطين جولكندة وأحمد نكر^(٥)، هذا بجانب العديد من المؤلفات العامة، وهي أقل أهمية من تلك المؤلفات.

(ج) الطب: شكّل علم الطب والتأليف فيه تحديًا كبيرًا للعلماء الشيعة المهاجرين للدكن، حيث عرف أن الكثير من السلاطين أصيبوا بأمراض عضال، وتوفوا على أثرها؛ فالسلطان يوسف عادل شاه يُصاب بمرض القنية - الاستسقاء^(٦)، وعانى السلطان إبراهيم من أمراض أمراض السل والبواسير وآلام الرأس، وعجز الأطباء عن شفائه من تلك الأمراض^(٧)، أما السلطان مرتضى نظامشاه؛ فأصيب بمرض عقلي، اعتزل الناس على أثره، وعُرف

(١) جراهام بيلي: الأدب الإسلامي، ص ٥٥، ١٦٨-١٦٩؛ عارف نوشاهي: آثار فارسي، ص ١٤٦٢، الطريحي، العادلشاهية، ص ٥٩.

(٢) عارف نوشاهي: آثار فارسي، ص ٢٤٥٢.

Aziz Ahmad: An Intellectual History of Islam in India, p. 84.

(٣) صاعد الشيرازي: حديقة السلاطين، ص ٤.

(٤) Chopra: History of South India, p. 213.

(٥) عارف نوشاهي: آثار فارسي، ص ٢٦٦٤.

نذكر من تلك المؤلفات العامة؛ كتاب زهرة الرياض وزلال الحياض في السيرة وتاريخ الخلفاء، وهي للمؤرخ العربي ابن شذقم (ت ١٠٤٦هـ/١٦٣٧م)، وكتاب تحفة زخيرة كنوز الأخبار لصاحبه مهذب الدين أحمد، ألفه عام (١١٨٥هـ/١٦٧٤م) عن أخبار متقطعة للتاريخ الإسلام، وكتاب جامع مفيد للمؤرخ محمد مستوفي اليزدي في أخبار مدينة يزد، ألفه عام (١٠٩٠هـ/١٦٧٩م). راجع، الطهراني: الذريعة، ٣/٣٦٢، ٥/٢٤، ٧٢، ٣١٨.

(٦) دبلوي: واقعات بيجابور، ص ٥٢.

John Briggs, History of Rise of Mohamden Power in India, 3/68.

(٧) دبلوي: واقعات بيجابور، ص ١٠٧.

John Briggs, History of Rise of Mohamden Power in India, 3/68.

بالمجنون^(١). لذا ذاع صيت الأطباء الفرس، وعلى رأسهم شاه طاهر طبيب قصر السلطان يوسف شاه^(٢)، وفتح الله الشيرازي، الذي عرف بداهية العقل في عهد السلطان علي عادل شاه، وتم إنشاء أكبر دار شفاء في حيدر آباد، وكان المسؤول عنها الطبيب الشيعي نظام الدين الكيلاني^(٣).

ازدهرت عمليات التأليف في الطب، وأشهر الأعمال؛ شرح كتاب الشفاء لابن سينا، قام به شاه طاهر (ت ٩٥٢هـ/١٥٤٥م)، وقام الطبيب محمد بن أحمد الخواجنكي (ت ٩٥٣هـ/ ١٥٤٥م) بشرح كتاب الفصول لابن سينا، وهو في الطب النفسي، وفي عام (٩٥٤هـ/١٤٤٧م)، ألف الطبيب عماد الدين كتابه الجواب الصيني في وصف علاجات أشهر الأمراض^(٤)، أما المؤرخ والطبيب محمد قاسم فرشته فله كتاب اختيارات قاسمي، شرح شرح فيه الأمراض والأدوية والأغذية، مع وصف دقيق لأعضاء الجسم^(٥)، وقدم الطبيب عبدالله الأعم عام (١٠٢٣هـ/١٦١٤م) كتابه الاصطلاحات الطبية هدية للسلطان محمد قلي قطبشاه، وأشهر المؤلفين هنا نظام الدين أحمد الكيلاني (ت ١٠٥٩هـ/١٦٤٦م)، الذي عاش في أحمد نكر، وله العديد من المؤلفات، منها أسرار الأطباء، ماهية المني، حقيقة الحرارة، وقد حصل على تأليفه للكتاب الأخير على لقب حكيم الملك^(٦).

لم يقتصر الأمر على الطب البشري، ففي مجال الطب البيطري؛ نبغ الطبيب حسين الطبي صاحب كتاب الصيد والذبائح، ألفه عام (٩٨٨هـ/١٥٨١م)، وشرح فيه الحيوانات والطيور، وكل ما يتعلق بها، وحصل على هذا العمل الفريد على لقب صدر جيهان من السلطان إبراهيم قطبشاه، أما أضخم عمل فهو كتاب فرس نامه، ألفه مسعود الكاتب (ت ١٠٢٤هـ/١٦١٥م) في ثماني عشر مجلدًا، في أنواع وفوائد وضرورة الخيول^(٧).

(١) الهروي: طبقات أكبري، ٣/٥١؛ الحسيني: الهند، ص ٢٣١.

(٢) Roy: Shii Rulers Safavid, p. 218.

(٣) مجتبی کریمی: نکاهی حیدر آباد الدکن، ص ٣٦، وأيضًا راجع:

Moulappa: Diplomatic Relation, p. 94.

(٤) الطهراني: الذريعة، ٦/١٤٢، ٧/٢٧١، ١٣/٣٨٥.

(٥) الحسيني: نزهة، ص ٦٤٠.

(٦) الطهراني: الذريعة، ٢/١٢٢، ١٣/١٩، ١٥/١٤٢، ٢١/١٩٧، ٢٣/٢٧٩.

(٧) الطهراني: الذريعة، ١٥/١٠٥، ١٦/١٦٩ وعن صدر جيهان راجع:

Moulappa: Diplomatic Relation, p. 94.

(د) الرياضيات والفلك والهندسة: من أشهر علماء الشيعة في مجال علوم الحركة؛ فتح الله الشيرازي، حيث اخترع في بيجابور آلة تعمل بقوة الضغط، وتعد بتقديم اختراع كل عام^(١)، أما العالم مؤمن الأسترآبادي؛ فله كتاب ميزان المقادير، ألفه في عهد السلطان محمد قطبشاه (ت ١٠٢٠هـ/١٦١١م)^(٢)، وللسلطان نفسه؛ قدم الرياضي حسين بن الحاج إبراهيم الشريفي (ت ١٠٣٥هـ/١٣٢٦م) كتابه شرح خلاصة الحساب للبهائي العاملي (ت ١٠٣١هـ/ ١٦٢٢م)^(٣)، وألف في حيدر آباد الشيخ مير محمد الخواجنكي (ت ٩٥٣هـ/١٦٤٣م) كتاب مفتاح المنجمين، أما في بيجابور، فألف مير أبو الفتح الشيرازي كتابه رسالة في النجوم^(٤). وأدى هجرة المعماريين الهنود من إمارة فيايانكر والفرس من خراسان إلى الدكن إلى وجود فن معماري يجمع المؤثرات الهندية والفارسية، يظهر ذلك في مقابر بركليركه ذات القباب البصلية النصف كروية، والمآذن الفارسية الهيفاء، وأيونات القصور الفسيحة، كل ذلك تجده في مساجد الدكن، وبقايا قصور تخت محل، وكوكن، وتركش^(٥).

(هـ) الجغرافيا: يأتي على رأس المؤلفات الجغرافية الشيعية كتاب سلوة الغريب في أسوة الأديب لصاحبه سيد علي خان (ت ١١١٧هـ/١٠٧٥م)، وفيه وصفاً لميناء القنفذ - جدة - وموانئ فارس، ووصفاً موجزاً لجغرافية الهند^(٦). أما الأديب مرشد البروجردي (ت ١٠٣٠هـ/ ١٦٢١م)، فله كتاب وصف بروجردي، وهي قريته في خراسان التابعة لمدينة همذان، وقد طاف هذا الشيخ الهند، وسكن مناطق السند وأجمير، ثم الدكن^(٧).

(و) المعادن والنباتات: يعد كتاب هفت كان - السبع معادن - لصاحبه السيد نعمة الله من أشهر مؤلفات الدكن في هذا المجال، أما الشيخ نظام الدين أحمد الكيلاني فله كتاب خواص

(١) الهروي: طبقات أكبري، ٥٦/٣؛ عبد العزيز جواهر: آثار الشيعة، ص ١٦٧.

(٢) الطهراني: الذريعة، ٣٢٦/٢٣.

(٣) المجلسي: بحار الأنوار، ١١٠/١٠٦.

(٤) الطهراني: الذريعة، ٣١٥/٢١، ٧٦/٢٤.

(٥) أ.ح. أريبري: تراث فارس، ترجمة: أحمد الساداتي وآخرون، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ١٩٥٩م، ص ١٣٨، ١٤٦.

(٦) زبيد أحمد: "ما تبرعت به الهند إلى الآداب العربية"، ثقافة الهند، ١٩٥٢م، ص ٣٨، عبد العزيز: آثار الشيعة، ص ١٧٤.

(٧) الطهراني: الذريعة، ٣٠/٩.

الخضروات والبقول، تناول فيه فوائدها، والأحاديث الواردة فيها، وأهميتها في علاج الأمراض، وذلك في عهد السلطان عبدالله قطبشاه (ت ١٠٨٣هـ/١٦٧٢م) (١).

(ز) **المنطق ومرآة الأمراء:** ألف الشيخ محمد بن طاهر (ت ٩٥٢هـ/١٥٤٥م) كتابه حواشي على المحاكمات الأفلاطونية (٢)، أما أهم كتب الشيعة بشكل عام فهو الطبقات الصدرية لصاحبه جلال الدين محمد بن سعيد الدوني (ت ٩٠٨هـ/١٥٠٣م)، فقد تناوله الشيخ فتح الله الشيرازي بالشرح والتعليق. وفي عام (٩٩٤هـ/١٥٨٦م) أنهى الشيخ نفسه كتابه جوابات المسائل النظامية، وهي أسئلة في المنطق والفلسفة، سألتها السلطان مرتضى نظامشاهي، وأجاب عليها المؤلف، أما نظام الدين أحمد الكيلاني؛ فله موسوعة شجرة دانس - شجرة المعرفة، وهي تحتوى على مائة واثنى عشرة رسالة في الطبيعيات والفلسفة والمنطق، ألفها قبل موته عام (١٠٥٩هـ/١٦٤٩م) (٣)، وعن أساليب الحكم الرشيد، ألف خواجه أحمد دمانى كتابه ناظر السلطانات، وقدمه هدية للسلطان نظامشاه الثاني (ت ١٠٠٣هـ/١٦٥٤م) (٤).

(ح) **الموسيقى:** يُعد السلطان إبراهيم عادل الثاني (ت ١٠٣٥هـ/١٦٢٦م) من أشهر سلاطين الهند حباً وإعجاباً بالموسيقى الهندية، وأسس لذلك مدينة نورسبوه عام (١٠١٢هـ/١٦٠٣م)، كانت تقام فيها حفلات الرقص والغناء، مستقداً أشهر المطربين والمطربات (٥)، وكان ذلك فرصة للموسيقين، ومنهم يحيى الحوارني، الذي حضر إلى الدكن، وتوفي في حيدر آباد (٦).

شرع السلطان إبراهيم في تأليف أهم كتب الموسيقى الهندية، ونقصد به كتاب النورس - الجواهر السبع - عام (١٠٠٤هـ/١٥٩٥م)، وهو يحتوى على تسع وخمسين أغنية، وسبع عشرة مقطوعة شعرية، وقد شارك في وضع هذا الكتاب الشاعران الفارسيان ملك قمي

(١) الطهراني: الذريعة، ٢٧٢/٧، ٢٣٦/٣٥.

(٢) الحسيني: نزهة، ص ٣٥٨.

(٣) الطهراني: الذريعة، ٢٣٩/٥، ٧٨/٦، ٢٧٩/٢٣.

(٤) Chopra: History of South India, p. 211.

(٥) دبلوي: واقعات بيجابور، ٢١٠. وللمزيد راجع:

Cambridg: A social History p. 144.

(٦) العيدروسي: النور السافر، ص ٥٨٧؛ الطريحي: تاريخ الشيعة، ص ٢/٢٦.

(ت١٠٢٤هـ/١٦١٥م) وصديقه الشاعر ظهوري، الذي توفي بعده بعام واحد، وقد منحها السلطان تسعة آلاف هوناً جائزة اقتسماها سوياً^(١).

رابعاً: سنة الدكن بين الصراع السياسي والفكري:

اتخذ سنة الدكن عدة أساليب لمواجهة الهيمنة الشيعية المفروضة عليهم، ففي بيجابور عندما أعلن السلطان يوسف عادل شاه تشييعه في مسجد آراك؛ غضب نبلاء السنة، وغادروا المسجد دون إتمام الصلاة، وأرسلوا إلى الأمراء السنة في بقية مناطق الدكن - قبل تشييعهم - مثل السلطان محمود شاه بهمني وأمير بريدي وأحمد نظامشاه، وترجم ذلك الوزير عماد الملك، الذي وصف السلطان يوسف بالأحمق^(٢)، أما قائد سلاح الفرسان تشاند الحسيني - وكان صديقاً مقرباً للسلطان - فقد ترك الخدمة، وفض صداقته، وانغمس في ذكر الله^(٣)، ثم اندلعت الثورة السنوية في بيجابور، وكل ذلك دفع السلطان يوسف إلى التراجع قليلاً، حيث أعلن العقيدة الحرة قائلاً: "إيماني لنفسي وإيمانك لنفسك"^(٤).

أتت جهود السنة ثمارها مع وصول السلطان إبراهيم الأول لسدة الحكم، حيث أوقف جميع الرسوم الشيعية، ووظف الجند الدكنيين السنة، وكذلك الأحباش، مع الاعتماد على اللغة المارثية الهندية بدل الفارسية^(٥)، كما تم فصل ثلاثة آلاف موظف عربي من الغرباء، وأبقى فقط على أربعمئة موظف شيعي في الجهاز الإداري^(٦)، وانعكس الوضع في عهد الشاه علي عادل، الذي غالى في تشييعه، فوظف اللاعنين، وحول المعابد الهندوسية إلى حُسينات^(٧)، وفي عهده، ثار السنة، وحملوا السلاح، واشتبك معهم الشيعة، الذين حاصروا المسجد الجامع في بيجابور القديمة، وظلت الأوضاع مضطربة حتى وفاة السلطان علي عام (١٥٨٠هـ/١٥٨٠م)، حيث اندلعت المواجهات مرة أخرى بضراوة أشد^(٨).

(١) Ibrahim Adil shah II, Kitab-I-Nauras, pp. 22-23.

(٢) دبلوي: واقعات بيجابور، ص ٥١.

John Briggs, History of Rise of Mohamden Power in India, 3/14.

(٣) Maxwell: Sufis of Bijapur, p. 69.

(٤) John Briggs, History of Rise of Mohamden Power in India, 3/14.

(٥) دبلوي: واقعات بيجابور، ص ٧٨.

(٦) Cambridge: A social History of the Decca, p. 91.

(٧) Maxwell: Sufis of Bijapur, p. 63.

(٨) Ibid., p. 64.

لعب كبار موظفي السنة في بيجابور دورًا في التوجه المذهبي، وعلى رأسهم الوزير السني أسدخان، وهو الذي عمد إلى الإزاحة التدريجية للموظفين الشيعة، وإحلال السنة مكانهم^(١)، كذلك فعل الوزير كمال خان، الذي كان وصيًا على السلطان إسماعيل عادل شاه في صغره، حيث قطع العلاقات مع الصفويين، وإعادة الخطبة باسم الخلفاء الراشدين^(٢). ولعل أهم شخصية محورية في بيجابور في هذا الأمر، وكيل المملكة دلاورخان (ت ١٠٠٨هـ/١٦٩٩م)، وهو حبشي سني حنفي، عمل جاهدًا في بداية حكم السلطان إبراهيم الثاني للقضاء على النفوذ الشيعي، فطردهم من الوظائف، وجمع علماء السنة من مناطق الكجرات ولاهور لإعادة بناء الثقافة الدينية في بيجابور، وطرد ما بين خمسة إلى ستة آلاف جندي شيعي، واستبدلهم بالسنة، واستمر الوضع كذلك سبع سنوات^(٣)، حيث خشي السلطان السلطان إبراهيم من ازدياد نفوذ دلاورخان، فقبض عليه، وسمل عينيه، ثم حبسه في قلعة كهلهته حتى وفاته^(٤).

هذا عن الوضع في بيجابور، أما عن الوضع في مدينة أحمد نكر، فكان أكثر دمويًا وعنفًا، حيث تسلط الشيعة الخراسانيون على القصر الملكي، حتى خلعوا السلطان مرتضى نظامشاه عام (٩٩٦هـ/١٥٤٧م)، ثم قتلوا ابنه حسين بعد عشرة أيام من توليه الحكم^(٥)، وقد أثار ذلك حفيظة السنة، وعلى رأسهم الوزير جمال خان، الذي قام بمذبحة كبيرة ضد الشيعة عام (٩٩٨هـ/١٥٤٩م)، فقتل كل من تمكن منهم، وفرّ ثلاثمائة شيعي إلى بيجابور^(٦)، واضطربت الأوضاع في أحمد نكر، حتى انتهى الأمر بمقتل الوزير جمال الدين، وطيف برأسه في المدينة^(٧)، وترتب على ذلك اكتساح الإمبراطور جلال الدين أكبر إمبراطور المغول السني لأحمد نكر، وأدخلها في ملكه.

اتخذ الصراع السني الشيعي منحى خطير، تمثل في اغتيال كبار الشخصيات المؤثرة في الأحداث، ففي عملية شيعية؛ أُغتيل وكيل مملكة بيجابور السني كمال خان عام

(١) Cambridge: Architecture and Art of Deccan Sultanats, p. 13.

(٢) John Briggs, History of Rise of Mohamden Power in India, 3/87.

(٣) الهروي: طبقات أكبري، ٥٧/٣؛ الحسيني: نزهة، ٥٢٩؛ الطريحي: العادلشاهية، ص ٣٥.

(٤) الهروي: طبقات أكبري، ٥٧/٣؛ الحسيني، نزهة، ٥٢٩؛ الطريحي: العادلشاهية، ص ٣٥.

(٥) العيدروسي: النور السافر، ٥٦٧.

(٦) Ibrahim Adil shah II, Kitab-1-Nauras, p. 18.

(٧) العيدروسي: النور السافر، ص ٥٦٧.

(١٥١٢/هـ١٣٠م)^(١)، ولم يكن السنة ليرضوا بذلك، فتم اغتيال الوزير الشيعي مصطفى خان في عهد السلطان علي عادل شاه^(٢)، وكذلك من علماء الشيعة غياث الله الشيرازي^(٣)، والشاعر الشيعي ميرزا - شاعر بيجابور في عهد السلطان علي عادل شاه - حيث تم طعنه بخنجر يوم عاشوراء، وهو من أشهر شعراء المرثي الشيعية في ذلك الوقت، وقد حزن عليه السلطان حزناً شديداً، وأمر أن يطوفوا بجسده في المدينة سيراً على الأقدام بصحبة العلماء والشعراء، وبرفقة تلاميذه^(٤).

لعب المتصوفة السنة من خلال مؤلفاتهم دوراً كبيراً في التصدي للنفوذ الشيعي في بيجابور، وخصوصاً مع تزايد أعداد المهاجرين منهم، ويوضح الجدول التالي أعداد المهاجرين الصوفيين في عهد المملكة العادلشاهية^(٥).

السلطان	عدد المهاجرين	السلطان	عدد المهاجرين	السلطان	عدد المهاجرين
يوسف	١	إبراهيم الأول	١	محمد	١١
إسماعيل	٠	علي عادل	١	علي الثاني	٤
مالو	٠	إبراهيم الثاني	٢٧	سكندر	٠

كان هؤلاء المتصوفة على عدا مع الشيعة الاثنا عشرية؛ لذا وجدوا في بيجابور مأوى لهم، خصوصاً مع وجود حكام سنة، مثل إبراهيم الثاني، الذي قربهم إليه، واعتقد فيهم، وتقول الروايات أن السلطان نفسه - ونتيجة لجهه للموسيقى - أراد أن يدخل في الهندوسية لولا تدخل الصوفي الكبير الشيخ صبغة الله الحسيني^(٦)، وعمل أحدهم - وهو الشيخ

(١) Cambridge: Architecture and Art of Deccan Sultanats, p. 13.

(٢) Ibrahim Adil shah II, Kitab-I-Nauras, p. 27.

(٣) مرتضى: مطلع أنوار، ص ٤٠٣، ٤٠٥؛ الطريحي: العادلشاهية، ص ١٧.

(٤) هاشمي: دكن مين أردوا، ص ٨٧، ٢٨٨.

ومن أشهر القضايا التي أثرت في تلك الفترة؛ مقتل القاضي الشيعي نور الله التستري المعروف بالمرعشي، ولقب عند الشيعة بالشهيد الثالث، حيث دخل الهند، وتقرب من الإمبراطور أكبر، الذي عينه قاضياً، وقد تحامل على أهل السنة، وظهر ذلك من خلال مؤلفاته، ومنها مجالس المؤمنين ومصائب النواصب؛ مما دفع الإمبراطور جهانكير إلى الأمر بقتله عام (١٥٦٩/هـ١٠١٩م). وللمزيد عن هذا الموضوع راجع: المرعشي: نور الله التستري (ت ١٥٦٩/هـ١٠١٩م)، مجالس المؤمنين، تعريب: محمد شعاع، قم، ١٣٩١ش، ص ٢٣/١، وأيضاً: مصائب النواصب، تحقيق: قيس العطار، قم، ١٤٢٦هـ، ص ٢٧، الحسيني: نزهة، ص ٦٥٨.

(٥) Maxwell: Sufis of Bijapur, p. 63.

(٦) Ibrahim Adil shah II, Kitab-I-Nauras, pp. 46-47.

أبو الحسن - مرشدًا دينيًا للعائلة الملكية، وهو الذي أقنع السلطان بضرورة اتخاذ إجراءات صارمة مع المخالفين لأهل السنة^(١). وأصبح لهؤلاء الصوفية منزلة دينية واجتماعية بين المسلمين والهندوس على حدٍ سواء، ففي عام (١٠٦٣هـ/١٦١١م)، وقع خلاف بين الطرفين على إدارة ضريح الصوفي بئر جلال الدين الواقع في قرية ماسور (تقع في منطقة ساتار الحديثة)، ورفعت القضية أمام محكمة المملكة، وخسر الهندوس الدعوى، وغرموا بأربعة آلاف وخمسمائة قطعة ذهبية، وحبس زعيمهم تارا أسواجي ثلاث سنوات، وقد دفع ذلك السلطان إبراهيم إلى إرسال كبير مستشاريه عنبر خان لمتابعة القضية^(٢).

ويمكن تتبع أهم الأعمال الصوفية في الدكن من خلال هؤلاء الشيوخ، الذين استقروا فيها، وعلى رأسهم شاه ميرانجي (ت ٩٤٧هـ/١٤٩٠م)، وهو من أبناء الطريقة الجشتية، وكان السلطان يوسف عادل شاه من أشد المعجبين به، وعُرف بأهم عمل صوفي، وهو شمس العشاق، كتبه بالأردية نثرًا في محبة الله^(٣)، وبجانب ذلك؛ فقد خصص وقتًا يوميًا لتعليم العوام الدين الإسلامي الحنيف^(٤). وعلى خطى ميرانجي، سار ابنه برهان الدين خانام (ت ١١٣٢هـ/١٥٩٧م)، الذي استخدم الشعر لجمهور أوسع من المسلمين، ومن أشهر أعماله؛ وصية الهادي، وكلمات الحقائق، ومنفعة الإيمان^(٥)، كما له مقطوعات صوفية كان يتغنى بها في المنازل الدكنية من قبل النساء، مثل شاكيا نامه Chakki، وشارح نامه Charkha، وهي تمثل لغة بسيطة لنقل الأفكار المجردة عن التنوير الروحي وإرشاد الحياة

نذكر هنا العلاقة بين التصوف والحكام الصفيين، أن الطريقة الصوفية بدأت طريقة سنية، وقد نالت في عهد قادتتها الأربع الأوائل احترام العامة والحكام في خراسان، وكانت مسالمة سياسيًا، ومع وصول الجنيد (ت ٨٦٤هـ/٥٩-٤٦٠م)؛ تحولت الطريقة إلى منظمة عسكرية ذات توجه ديني شيعي، سافر في الغلو، وقد بالغ الشاه عباس في اضطهاد السنة، وتقبيد الطرق الصوفية، وندس أضرحة الشيوخ، وشهر بهم. وللمزيد راجع: كولن تيرنر: التشيع والتحول في العصر الصوفي، ترجمة: حسين على عبدالساتر، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٨م، ص ١٢٧، ١٧٨، ١٩٩.

(١) Fatima Maryam: Relations of the Sufis with the Rulers of Deccan (14-17) Centuries, Aligarh, India, 2012, p. 3.

(٢) Cambridge: A social History of the Decca, pp. 145-146.

(٣) هاشمي: دكن مين أردو، ص ٩٨؛ جراهام بيلي: الأدب الإسلامي، ص ١٠٧.

(٤) هاشمي: دكن مين أردو، ص ٦٩.

(٥) هاشمي: دكن مين أردو، ص ١٨١، جراهام بيلي: الأدب الإسلامي، ص ١٠٧.

اليومية، مع التقوى والإيمان^(١) ولاشك أن مثل تلك الأعمال كانت تقف حجر عثرة أمام النفوذ الشيعي خصوصاً أنها استهدفت طبقة العامة.

وهاجر إلى الدكن الصوفي ذائع الصيت بدر الدين الملتاني (ت ١١٠٧هـ/١٥٧٣م)، وكان من أشد المعجبين به السلطان إبراهيم قطبشاه، وأصبح من كبار مريديه^(٢)، وتأثر به الشاعر قطب الدين فيروز، فألف شعراً صوفياً، وله قصائد في الصلاة والترتيل وقيام الليل، وأشهر أعماله بيرات نامه، وهي تصوير لحياة الصوفي الكبير عبدالقادر الجيلاني^(٣)، ويعد حميد قادري من أشهر متصوفي بيجابور، الذي روج للسنة النبوية، وانخرط وأتباعه في سلك التعليم والإرشاد الروحي^(٤)، وأكثرهم تأثيراً الشيخ عبداللطيف لوبالي (ت ١٠٨٩هـ/١٦٣٧م) في عهد السلطان إبراهيم الثاني، حيث عاش في بيجابور، واستقر في ضاحية كورتول، حيث أسلم على يده عددًا كبيرًا من الهندوس، على رأسهم راجا المقاطعة^(٥).

تصدى المتصوفة السنة بنشاطهم للدعاة الشيعة عن طريق كسب العامة، مثل الشيخ سيدشاه إسماعيل (ت ١٠٦٠هـ/١٦٠٩م)، حيث هاجر من بغداد، واستقر في منطقة نيلور - بالقرب من غولبارغا، وكان يُعلم الفقراء، ويوزع عليهم الطعام، واستقر الشيخ ميران حسن الحموي (ت ١٠٩١هـ/١٦٣٩م) في حيدر آباد، وتعهد السلطان محمد قلي بتقديم الطعام لاتباع الشيخ من مطبخه الملكي^(٦)، وكانت منطقة سلطانبور مركزاً للصوفية القادرية، وعمرت بالخانقاوات، كما كان الحال في أحمد نكر، ففيها أقام الصوفي موسى القادري (ت ٩٠٥هـ/١٤٥٨م) والشيخ جلال الدين قادري (ت ٩٠٥هـ/١٤٥٨م)^(٧).

ومما رفع من شأن هؤلاء الصوفية؛ ترفعهم عما لدى الحكام، والزهد في عطاياهم، فهذا الشيخ مخدوم إبراهيم؛ يرفض مقابلة السلطان إبراهيم قطبشاه قائلاً: "أنتم أهل الدنيا، تريدون صلاة الدرويش، وأنا أصلي من أجل كل المسلمين، ومنهم السلطان"، وامتنع

(١) Cambridge: A social History of the Decca, p. 144.

(٢) Fatima: Relations of the Sufis, p. 187.

(٣) هاشمي: دكن مين أردوا، ص ٨٣.

(٤) دبلوي: واقعات بيجابور، ص ١٠٤.

(٥) Fatima: Relations of the Sufis, pp. 192-193.

(٦) Ibid: pp. 192, 194.

(٧) Ibid: p. 203.

الشيخ إسماعيل الملتاني عن رفقة الأغنياء، واشتغل بالزراعة بجانب تعليم الناس الدين والأخلاق^(١).

تعددت المؤسسات السنية التي تصدت للفكر الشيعي في الدكن، مثل خانقاوات الصوفية في أحمد نكر، وبيدر، وسلطانبور، وكذلك المساجد، مثل المسجد الحيدري في بيجابور، وهو من أكبر مراكز التعليم السني^(٢)، والمسجد الجامع في المدينة نفسها، وكان مجمع الثوار السنة في عهد السلطان علي عادل شاه^(٣)، وعمد السلطان إبراهيم الثاني على تشييد العديد من المساجد للسنة، منها مسجد منطقة إبراهيمبور، شيده عام (٩٧٥هـ/ ١٥٢٦م)، وفي عام (٩٥٠هـ/ ١٥٠٢م)، شيده مسجداً آخر وكان يحتوي على ألف وثلاثمائة مصباح، وفي عام (٩٨٠هـ/ ١٥٥١م) شيده مسجداً ثالث بجانب حديقة جعفر^(٤)، ولاشك أن تلك المؤسسات تبنت مواقف السنة المناهضة للفكر الشيعي في الدكن؛ مما ساعد على تمدد النفوذ السني الديني والفكري.

ولنقترب أكثر من الصراع السني الشيعي الفكري في الدكن، حيث أصبحت القضايا المذهبية تؤثر على البلاد بشكلٍ مباشرة، ونقصد هنا قصة القاضي نور الدين المرعشي (ت ١٠١٩هـ/ ١٦١٠م)، وهو من كبار دعاة الشيعة في الهند، حيث ألف كتاب الصوارم المهرقة في جواب الصواعق الحارقة^(٥)، للرد على العالم السني ابن حجر الهيتمي (ت ٩٤٧هـ/ ١٥٦٦م)، الذي ألف كتاب الصواعق الحارقة دفاعاً عن السنة، وفضح أساليب الشيعة، وأردف المرعشي عمله بكتابين، هما: مجالس المؤمنين، وإحقاق الحق^(٦). وقد تصدى الشيخ السني معين الدين ميرز مخدوم للرد على المرعشي بكتابه النواقض لظهور الروافض، الذي انتشر في العالم الإسلامي، ومنه الدكن^(٧)، وقام العلامة كمال بن فخر

(١) هاشمي: دكن مين أردوا، ص ٨٢، Fatima: Relations of the Sufis, p. 204.

(٢) Ibrahim Adil shah II, Kitab-I-Nauras, p. 41.

(٣) Maxwell: Sufis of Bijapur, p. 63.

(٤) دبلوي: واقعات بيجابور، ص ١٠٨.

(٥) البزرنجي: محمد بن رسول (ت ١١٠٣هـ/ ١٦٥٠م)، النواقض للروافض، تحقيق: محمد هداية نور، الجامعة الإسلامية، السعودية، ١٤١٢هـ، ص ٤١؛ المرعشي: مصائب النواصب، ص ٢٧؛ الحسيني: نزهة، ص ٦٥٨.

(٦) المرعشي: مجالس المؤمنين، ٢/٢٦٣، ٤/٥٠، ٥٥.

(٧) البزرنجي: النواقض للروافض، ص ٤١، ٤٦.

الدين البيجابوري بترجمة كتاب الصواعق المحرقة، وأسماء البراهين القاطعة، وذلك بأمر وكيل مملكة بيجابور دلاورخان الحبشي (ت ١٠٠٨هـ/١٥٩٩م)، وهو الذي قاد الثورة السننية ضد الشيعة^(١).

لعل من أكبر النجاحات التي حققها السنة في الدكن؛ تهميش اللغة الفارسية، وهي لغة الوافدين الشيعة، وأول من اتخذ هذا القرار؛ السلطان إبراهيم عادل شاه الأول عام (٩٨٤هـ/١٥٣٥م)، حيث ألغى الفارسية، وحل محلها اللغة الماراتية الهندية في بيجابور مع طرد الموظفين الشيعة^(٢)، كما قوى شأن اللغة الأوردية، حتى أصبحت اللغة الرسمية للشيخو الصوفية، وبها ظهر أول وأهم عمل صوفي، وهو شمس العشاق لشاه ميرانجي، وعرفت باللغة الشعبية^(٣)، وأُعتمدت لغةً رسميةً في الدكن، بينما اقتصر استخدم الفارسية على الأعمال الشعرية^(٤)، وفي حيدر آباد؛ أُصيبت الفارسية بنكسة كبيرة، حينما اعتمد السلطان إبراهيم قطبشاه (ت ١٠٣٠هـ/١٥٨٠م) لغة التيلجو الهندية لغةً رسميةً في المملكة؛ ليضمن ولاء زعماء الهندوس، الذين خدموا المملكة، وسرعان ما توسع في استخدام تلك اللغة في مناطق أخرى مثل بيجابور^(٥)، كل تلك الإجراءات؛ أضعفت من قدر الفارسية، وبالتالي الثقافة الشعبية المنبثقة عنها.

وخلاصة القول في ذلك هو الآتي:

- انقسمت منطقة الدكن إلى خمس ممالك إسلامية، وعقب الصراع فيما بينهم؛ أصبحت ثلاث ممالك فقط، اثنان شيعيتان، هما: مملكة القطبشاهيين، والنظامشاهيين، وثالثة كانت شيعية أحياناً، وسنية أحياناً أخرى، وهي مملكة العادلشاهيين في بيجابور.
- يلاحظ أن تشيع تلك الممالك جاء في الأساس من قبيل الانتهازية السياسية؛ لمواكبة هذا التطور الواقع في خراسان، والناج عن ظهور قوة الصفويين الشيعية، الذين أصبح لهم نفوذ سياسي وديني في الدكن، وعلى الجانب الآخر؛ لكسب ود الأهالي الهندوس، وهم الأقرب إلى الشيعة في المظاهر والشعائر الدينية.

(١) المرعشي: مصائب النواصب، ص ١٠؛ الحسيني: نزهة ص ٦٠٦، ٦٥٨.

(٢) Cambridge: A social History of the Decca, p. 91.

(٣) هاشمي: دكن مين أردو، ص ٧١.

(٤) Cambridge: A social History of the Decca, p. 142.

(٥) Ibid: pp. 142, 157.

- عمد شيعة الدكن على صبغ المجتمع بصبغة شيعية صرفة من خلال الرسوم المذهبية المتعلقة بالاحتفال بالمناسبات الشيعية، مع انتشار الحسينيات الكبرى، وجلب الدعاة الشيعية، سواء الفرس أو العرب، ونشر المؤسسات التعليمية وتوظيف الشيعة في الجهاز الإداري لتلك الممالك - حتى الجيش - على حساب السنة.
- في إطار التنافس الشيعي السني؛ عمد الشيعة إلى الاجتهاد في طرح المئات من الأعمال الفكرية التي تروج لمذهبهم، وكردة فعل؛ بذل السنة جهدًا كبيرًا للتصدي لتلك الأعمال بمؤلفات مماثلة، وظهر ذلك في مجالات عدة، مثل علوم الدين واللغة والشعر.
- جاء المهاجرون الشيعة إلى الدكن، ومعهم علوم ومعارف برعوا فيها، هي من تراث المناطق القادمين منها، مثل خراسان؛ لذا كانت لهم الريادة في المؤلفات الخاصة بها، مثل الطب والتاريخ والجغرافيا والرياضيات وغيرها.
- جاهد أهل السنة في التصدي للدعاة الشيعة من خلال نشر العقيدة السليمة البعيدة عن الزيف الشيعي والهوى المتطرف، برغم موقفهم الصعب؛ فقد ثاروا في بيجابور وأحمد نكر، وتصدوا بقوتهم المتواضعة لرجال الشيعة في القصر والجيش، كما تقدموا خطوات كبرى على المستوى الروحي، ونقصد هنا التصوف، حتى أصبحت أعمال صوفية مثل شمس العشاق لميرانجي تُقرأ في البيوت من قبل النساء، ناهيك عن الدور الريادي لشيوخ الصوفية في التعليم والإرشاد، أضف إلى ذلك إضعاف اللغة الفارسية، وإحلال لغات أخرى محلها، منها الأردية والتيجلو والمارثية، كل ذلك أضعف من نفوذ الشيعة، حتى كانت النهاية بالسيطرة المغولية السنية على هضبة الدكن تمامًا.

الملحق الأول: خريطة الدكن



Map 4. The Deccan in 1565.

Cambridge Histories Online © Cambridge University Press, 2008

﴿ سوبك للدراسات التاريخية والحضارية - العدد السابع، يناير ٢٠٢٤ م ﴾

المملكة العادلشاهية في بيجابور	المملكة النظامشاهية في أحمد نكر	المملكة القطبشاهية في جولكنده - حيدرآباد
- يوسف عادل شاه (١٥٠٠هـ/١٨٩٥م)	- أحمد الأول (١٤٩٠هـ/١٨٩٦م)	- سلطان قلبي قطب شاه (١٥١٢هـ/١٩١٨م)
- إسماعيل (١٥٠٠هـ/١٩١٦م)	- برهان الأول (١٥٠٨هـ/١٩١٤م)	- جمشيد قطب شاه (١٥٤٣هـ/١٩٤٠م)
- ملو عادل (١٥٣٤هـ/١٩٤١م)	- حسين (١٥٥٣هـ/١٩٦١م)	- سبجان قلبي قطب شاه (١٥٥٠هـ/١٩٥٧م)
- إبراهيم الأول (١٥٣٥هـ/١٩٤١م)	- مرتضى (١٥٦٥هـ/١٩٧٣م)	- إبراهيم قلبي قطب شاه (١٥٥٠هـ/١٩٥٧م)
- علي الأول (١٥٥٧هـ/١٩٦٥م)	- ميران حسين (١٥٨٨هـ/١٩٩٦م)	- محمد عادل (١٦٢٦هـ/١٠٣٥م)
- إبراهيم الثاني (١٥٧٩هـ/١٩٨٧م)	- إسماعيل (١٥٨٩هـ/١٩٩٧م)	- علي الثاني (١٦٦٠هـ/١٠٧٠م)
- محمد عادل (١٦٢٦هـ/١٠٣٥م)	- برهان الثاني (١٥٩٠هـ/١٩٩٩م)	- انقرضت عام (١٦٨٦هـ/١٠٩٧م) على يد أباطرة المغول
- علي الثاني (١٦٦٠هـ/١٠٧٠م)	- إبراهيم (١٥٩٤هـ/١٠٠٣م)	- محمد قلبي قطب شاه (١٥٨١هـ/١٩٨٩م)
- انقرضت عام (١٦٨٦هـ/١٠٩٧م) على يد أباطرة المغول	- أحمد الثاني (١٥٩٤هـ/١٠٠٤م)	- عبدالله قطب شاه (١٦١١هـ/١٠٢٠م)
- يد أباطرة المغول	- بهادر (١٥٩٥هـ/١٠٠٥م)	- أبو الحسن تانا شاه (١٠٨٣م/١٦٧٢م-١٠٩٧هـ/١٦٨٧م)
	- انقرضت على يد أباطرة المغول	- انقرضت على يد أباطرة المغول

الملحق الثاني: الممالك الشيعية في الدكن

- استانلي لين بول: تاريخ الخلفاء والسلطين والملوك والأمراء والأشراف في الإسلام، ترجمة إلى الفارسية: عباس إقبال، ثم إلى العربية: مكي طاهر، الدار العربية، بيروت، ٢٠٠٦م، ص ٣٥٤-٣٥١.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر العربية:

- البزرنجي: محمد بن رسول (ت ١١٠٣هـ/١٦٥٠م)، النواقض للروافض، تحقيق: محمد هداية نور، الجامعة الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٢هـ.
- البلكرامي: غلام علي آزاد (ت ١٠٧٧هـ/١٦٢٥م)، سبحة المرجان في أخبار الهندوستان، تحقيق: محمد سعيد الطريحي، الرافدين، بيروت، ٢٠١٥م.
- الحر العاملي: محمد بن الحسن (ت ١١٠٤هـ/١٦٥١م)، أمل الأمل، تحقيق: أحمد الحسيني، مكتبة الأندلس، بغداد، ١٣٨٥هـ.
- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت ٣١٠هـ/٩٢٢م)، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ب، ت.
- العيدروسي: عبد القادر بن شيخ عبد الله (ت ١٠٣٨هـ/١٥٨٧م)، النور السافر في أخبار القرن العاشر، تحقيق: أحمد حالو وآخرون، دار صادر، بيروت، ٢٠٠١م.
- المجلسي: محمد باقر (ت ١١١٠هـ/١٦٩٨م)، بحار الأنوار لدرر الأئمة الأطهار، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٣م.
- المرعشي: نور الله شرف الدين التستري (ت ١٠١٩هـ/١٥٦٩م)، مصائب النواصب، تحقيق: قيس العطار، قم، إيران ١٤٢٦هـ.

ثانياً: المصادر الفارسية:

- البدواني: عبد القادر بن ملوك شاه (ت ٩٣٧هـ/١٥٣٠م)، منتخب التواريخ، ترجمة إنجليزية: جورج ريكنج، نيودلهي، ب، ت.
- البنكاتي: أبو سليمان بن أبي الفضل (ت ٧٣٠هـ/١٢٨٩م)، روضة أولى الألباب في معرفة التواريخ والأنساب، ترجمة: محمود عبد الكريم، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- صاعد الشيرازي: ميرزا نظام الدين أحمد، (ت القرن ١١هـ/١٧م)، حديقة السلاطين قطبشاهي، ألفه في حدود (١٠٥٣هـ/١٦٠٢م)، تصحيح: سيد علي أصغر بلكرامي، حيدر آباد، الدكن، ١٩٦١م.
- فرشته: محمد قاسم هندوشاه، ت النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، كلزار إبراهيمي، نيودلهي، ب، ت.
- المرعشي: نور الله شرف الدين التستري (ت ١٠١٩هـ/١٥٦٩م)، مجالس المؤمنين، تحقيق: محمد شعاع فاخر، قم، ١٣٩١ش.
- نهاوندي: ملا عبد القادر (ت ١٠٢٥هـ/١٦١٦م)، مآثر رحيمي، بتصحيح: محمد هدايت حسين، كلكتا، ١٩٢٥م.
- الهروي: أحمد بخش نظام الدين (ت ١٠٠٢هـ/١٥٩٣م)، طبقات أكبري، ترجمة: أحمد عبد القادر الشاذلي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٥م.

ثالثاً: المراجع العربية:

- أحمد محمود الساداتي: تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندوباكستانية وحضارتهم، دار نهضة الشرق، ٢٠٠١م.
- الحسيني، عبدالحى: معارف العوارف، تعليق: أبو الحسن علي الحسني، دمشق، ١٩٨٣م.
- _____: نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر، دار ابن حزم، القاهرة، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.
- _____: الهند في العهد الإسلامي، دار عرفان، الهند، ٢٠٠١م.
- الطهراني، آقا بزرك: الذريعة إلى تصنيف الشيعة، دار الأضواء، بيروت، ١٩٨٣م.
- القنوجي، صديق حسين: أبجد العلوم، دار المعارف، ١٣٧٨هـ.
- المباركيوري، قاضي أبو المعالي أظهر: رجال السند والهند، دار الأنصار، القاهرة، ١٣٩٨م.
- محمد سعيد الطريحي: تاريخ الشيعة في الهند، دائرة المعارف الهندية، ٢٠٠٥م.
- _____: المملكة العادلشاهية، دار المعارف الهندية، ٢٠٠٧م.
- _____: المملكة النظامشاهية، أكاديمية الكوفة، هولندا، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.
- محمد عبد المنعم الشرقاوي ومحمد محمود الصياد، ملامح الهند والباكستان، دار المعارف، القاهرة، ١٩٥٢م.
- معين الدين الندوي: معجم الأمكنة التي لها ذكر في نزهة الخواطر، دار المعارف العثمانية، حيدر آباد، ١٣٥٣م.
- يونس الشيخ إبراهيم السامرائي، علماء العرب في شبه القارة الهندية، المكتبة الوطنية، بغداد، ١٩٨٦م.

رابعاً: المراجع الفارسية:

- أبو ظفر الندوي: مختصر تاريخ الهند، أكر، ١٩٣٨م.
- عارف نوشاهي: آثار فارسي جاب شد در شبه قارة هندوباكستان، بنجلادش، جلد چهارم، نشاني ناشر طهران، ٢٠٠٧م.
- عبد العزيز جواهر الكلام: آثار الشيعة الإمامية، تهران، ١٣٠٧ش.
- فخري الهروي: روض السلاطين، تصحيح: خيا ميسور، تبريز، ١٣٤٥ش.
- مجتبي كرمي: نكاهي حيدر آباد الدكن، تهران، ١٣٧٣ش.

خامساً: المراجع الأردنية:

- دبلوي، بشير الدين أحمد: واقعات بيجابور، كرنانك أردوأكاديمي، بنكلور، ٢٠٠٣م.
- مرتضى حسين صدر، مطلع أنوار، ناشر خراسان إسلامك، رشيد آرط، لاهور، ١٣٠٤هـ/١٩٨١م.
- هاشمي، نصير الدين: دكن مين اردو، ناشر ترمي اردو بيورد، دهلي، ١٩٨٥م.

سادساً: مراجع مترجمة:

- أ.ج. أربييري: تراث فارس، ترجمة: أحمد محمود الساداتي وآخرون، دار أحياء الكتب العربية، ١٩٨٧م.
- أرسنيوس فامبري: تاريخ بخارى، ترجمة: أحمد محمود الساداتي، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٨٧م.
- توماس أرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة: حسن إبراهيم حسن وآخرون، مكتبة النهضة، ١٩٧٠م.

- جراهام بيلي: الأدب الإسلامي في شبه القارة الهندية الباكستانية، ترجمة: حسين مجيب المصري، دار الثقافة، ٢٠١١م.

- جويستان لويون: حضارات الهند، ترجمة: عادل زعيتير، القاهرة، ١٩٤٨م.

- كولن تيرنر: التشيع والتحول في العصر الصفوي، ترجمة: حسين عبدالستار، منشورات الجمل، بغداد، ٢٠٠٨م.

سابعاً: الدوريات العلمية:

- زبيد أحمد: "ما تبرعت به الهند إلى الآداب العربية"، *ثقافة الهند*، ١٩٥٢م.

- س. ل. غوش: "ملاحم الهند"، *ثقافة الهند*، ١٩٦٢م.

- محمد عباس: "رفيع الدين إبراهيم شيرازي، مؤرخ دربار عادل شاهيان"، منشور ضمن

Journal for The history of Islamic, Vol. 50, No. 1, Spring-Summer 2017.

ثامناً: الرسائل العلمية:

- أحمد إبراهيم علي: "الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في الهند في عهد السلطان جلال الدين محمد أكبر (٩٦٣-

١٠١٤هـ/١٥٥٦-١٦٠٥م)"، رسالة دكتوراة، دار علوم، المنيا، ٢٠٠٤م.

تاسعاً: المراجع الأجنبية:

- Aarohi Phadke: A history of India, New Delhi, 1997.

- Aziz Ahmad: An Intellectual History of India, Edinburgh, 1958.

- Cambridge: Architecture and Art of Deccan Sultanates, 1999.

- -----: A social History of the Decca (1300-1761), Cambridge, 2005.

- Fatima Maryam: Relations of the Sufis with the Rulers of Deccan (14-17 Centuries), Aligarh, India, 2012.

- Hakim Syed: India during Muslim Rule, Lucknow, 1977.

- Ibrahim Adil Shah II, Kitab-I-Nauras, New Delhi, 1956.

- John Briggs: A history of India Rise of Mohamaden Power in India, New Delhi, 1997.

- Lane pool: Medieval India under Mohmmeden Role, London, N.P.

- Moulappa, K. Kamble, Diplomatic Relations of Deccan Sultanantes, India, 2017.

- P.N. Chopra and T.K Ravindram, History of South India, New Delhi, 1979.

- Roy S. Fischel: Shii Rulers Safavid, Alliance and Religion of Deecan, London.

- Richard Maxwell, Sufis of Bijapur (1300-1700), New Delhi, 1996.